مساجد مصر الأثرية
في أدب الرحلات الأردي..
دراسة وصفية نقدية
رحلة سلمى أعوان
[مصر ميرا خواب: مصر حلمي] نموذجا

د. عبدالرحيم عبدالغني محمد عبدالرحيم

الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر

مساجد مصر الأثرية في أدب الرحلات الأردي..

دراسة وصفية نقدية

رحلة سلمى أعوان [مصر ميرا خواب: مصر حلمي] نموذجا

د. عبدالرحيم عبدالغني محمد عبدالرحيم

الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر

rahim1977@azhar.edu.eg

الملخص: يعمد البحث إلى دراسة رحلة (سلمى أعوان) إلى مصر؛ تلك الرحلة التي قدمت فيها تصورًا خاصًا عن بلدنا الحبيب مصر ومساجدها الأثرية، وما حباها الله به من تراث إسلامي عظيم، فضلًا عن تعرض الكاتبة لعناصر الثقافة المصرية من عادات وتقاليد ومأكل وملبس، ولا يخفى ما في ذلك من أهمية للتعرف على رؤى الكاتبة وخلفياتها الفكرية عن ثقافتنا ومجتمعنا.

الكلمات الدالة: سلمى أعوان، المساجد الأثرية، أدب الرحلات الأردي، الوصف الواقعي.

ABSTRACT

Ancient Egyptian mosques in literature of the Urdu trips
a descriptive critical study
The journey of Salma Awan (Egypt is my dream) as a model

The study aims to study the journey of Salma Awan to Egypt; the journey in which she presented a special vision of our beloved country Egypt and its ancient mosques, and the great Islamic heritage that Allah distinguished it with, In addition, the writer exposes to the elements of Egyptian culture such as customs, traditions, food and clothing, which is important to know the Writer's views and intellectual backgrounds about our culture and society.

Keywords: Salma Awan, Ancient mosques, Urdu trips, Realistic description.

موضوع البحث وأهميته:

أدب الرحلات من أكثر الصنوف الأدبية ثراءً وغنىً، ومن أكثر التجارب السردية تعقيدًا؛ نظرًا لقدرة كاتبها على التحليق في مناحٍ وآفاق متعددة لسبر أغوار أحداث عايشها أو مشاهدات رآها أو أقطار مر بها؛ وفق ثقافته وتصوره ومكان الرحلة وزمنها، وكذا قدرته على الربط بين الواقع والمُتخيَل، وبين ما يراه هو، وما يصوره الخيال للقارئ. وقد خلّف أدباء الأردية تراثًا ضخمًا من الرحلات عن الآخر، مما يثبت انفتاح الأدب الأردي على الثقافات الأخرى، وهو الأمر الذي لا يخلو من تشكيل تصورٍ عن الآخر، وعن الذات في الوقت نفسه، مما يتيح للباحث تتبع التغيرات والأوضاع التي لحقت بالذات أو بالآخر، وكيف تم تصوير ذلك؟، وكيف تم تقديمه؟، خاصة تلك الرحلات ذات الطابع الواقعي التوثيقي التي يكثر في نصوصها المعلومات التاريخية، كتلك الرحلة موضوع الدراسة التي قدمت فيها (سلمى أعوان) تصورًا خاصًا ومميزًا عن مساجد مصر وتراثها الإسلامي العظيم، جمعت فيه بين الوصف الظاهري للمكان وجمالياته، وكذا الوصف الوجداني لمشاعرها نحو هذا التراث العريق، فضلًا عن تعرضها لعناصر الثقافة المصرية من عادات وتقاليد ومأكل وملبس، ولا يخفى ما في ذلك من أهمية للتعرف على رؤى الكاتبة لنا، وخلفياتها الفكرية عن ثقافتنا ومجتمعنا، لا سيما وإن كانت الصورة المنتجة من وراء ذلك تحمل في طياتها العديد من الانطباعات الإيجابية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجين؛ هما: (التاريخي والوصفي التحليلي)؛ قصد القبض على المعاني المستترة للوقوف على رؤى كاتبها وخلفياته الثقافية والفكرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى دراسة المعلومات الواردة داخل العمل الأدبي محل الدراسة وتصنيفها، ومن ثم تحليلها ومعرفة العلاقة بين أبعادها المختلفة؛ بهدف التوصل لاستنتاجات واضحة تسهم في الوقوف على حقيقة القضايا المطروحة وتشخيصها ومعرفة أسبابها.

ووفقًا لهذا التصور جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع، على النحو التالي:

المقدمة: اشتملت على نبذة تاريخية عن أدب الرحلات في الأردية، وأشهر كتابه، وأهم الرحلات التي قام بها كتّاب الأردية، وخاصة تلك الرحلات التي قصدوا فيها مصر، وزاروا مساجدها وأضرحتها، وكذا مدى التطور الذي لحق بهذا الجنس الأدبي، وأثره في التطور والتغيير الثقافي الذي تشهده الساحة الأدبية الأردية. أما **المبحث الأول** فهو بعنوان: سلمى أعوان ودوافع الرحلة؛ وفيه تعرض البحث لأهم المحطات التاريخية في حياتها، وأثرها في كتاباتها ونتاجها الأدبي، كما ناقش الباحث فيه الأسباب والدوافع التي دعت الكاتبة إلى القيام بهذه الرحلة، وتصورها الذهني عن مصر قبل خوض غمار هذه التجربة. أما **المبحث الثاني** فجاء موسومًا بـ: المساجد الأثرية في الرحلة (دراسة وصفية نقدية)، وفيه قدم الباحث دراسة تفصيلية عن أهم المساجد الأثرية التي

زارتها الكاتبة في مصر القديمة، وطبيعة العلاقة بين الكاتبة وقدسية المكان، وكيف قدمت الكاتبة تاريخ المكان وما يتميز به من خصائص، إلى جانب دراسة بعض الظواهر الثقافية التي رصدتها الكاتبة عن المجتمع المصري وانطباعاتها التي علقت في مُخيّلتها عن المصريين نتيجة معايشتها المباشر لبعض عاداتهم وتقاليدهم، هذا وقد وحرص الباحث على الاعتماد على النص الأردي في كل ما قدمه من دراسة موضوعية أو فنية.

والبحث في مجملة يجيب على عدة تساؤلات يمكن صياغتها بالشكل الآتي:

١-ما الصورة الذهنية لدى الكاتبة عن مصر وأهلها قبل قيامها بالرحلة؟

٢-كيف قدمت الكاتبة مساجد مصر الأثرية من حيث قدسية المكان وتاريخه؟

٣-ما أهم الانطباعات الذاتية المباشرة التي علقت في مُخيّلة الكاتبة عن المجتمع المصري بعد زيارتها لمصر؟

المقدمة: أدب الرحلات الأردي ومساجد مصر القديمة

ظهرت الارهاصات الأولى لأدب الرحلات الأردي في تلك القصص والحكايات التي كتبت تحت مظلة كلية (فورت وليم)، إذ تخلل هذا النوع من القصص بعض اللقطات والمواقف التي تبرز بعض الأحوال والأمور التي رصدتها أعين كتّاب تلك القصص في بعض أسفارهم، وإن كانت صنفوف الأدب الأردي الأخرى لا تخلو من مثل هذه الشواهد التي تؤكد أن الأصناف الشعرية الأردية كالمثنوي والقصيدة والمرثية قد سبقت القصص النثرية في هذا الصدد[١]. وهناك من يرى أن الآثار الأولى لهذا الصنف الأدبي قد ظهرت في الرسائل والسير الذاتية، من هؤلاء الشيخ حكيم سيد عبدالحي صاحب مؤلف (دہلی اور اس کے اطراف: دهلى وضواحيها)، حيث كتب يقول:

"نجد الارهاصات الأولى لأدب الرحلات الأردي في الرسائل والسير الأدبية، لا سيما في هذا الجانب الجدير بالبحث والذي يحوي الحديث عن الرحلة وتفاصيلها، إذ تكمن فيه الخصائص الثقافية للعصر الذي كتبت فيه، فضلًا عن أنواع تلك الرحلات وأساليب كتّابتها"[٢].

والمُطّلع على الأدب الأردي بشكل عام يعلم جيدًا أن أكثر الصنوف الأدبية قد دخلت الأردية عن طريق التأثر بلغات أخرى خاصة العربية والفارسية قديمًا، والإنجليزية حديثًا، وعلى هذا فإن نشأة أدب الرحلات

---

(١) انظر: خالد محمود، اردو سفرناموں کا تنقیدی مطالعہ، مکتبہ جامعہ نئی دہلی، سنہ اشاعت ٢٠١١ء، ص٩٣.

(٢) حکیم سید عبدالحی: دہلی اور اس کے اطراف، اردو اکادمی- دہلی، سنہ اشاعت: ١٩٨٨ء، ص١٣.

في الأردية لا يختلف كثيرا عن بقية الصنوف والأجناس الأدبية الأخرى، فقد طالع أدباء الأردية وترجموا الكثير من أشهر الرحلات العربية والفارسية منها على سبيل المثال: (كتاب الهند للبيروني، و "**سوانح حرمين:** تاريخ الحرمين" لرفيع الدين مراد آبادي)، وغيرهما.

أما عن كتابة أول رحلة في الأدب الأردي فقد أجمع غالبية أدباء الأردية ونقادها على أن رحلة (تاريخ يوسفى) لـ(يوسف خان كمبل پوش) المعروفة باسم (**عجائبات فرنگ:** عجائب الفرنجة) هي أول رحلة أردية خالصة، في حين يرى الأديب والناقد الباكستاني (مرزا حامد بيگ*) أن السيد (فدا حسين عرف نبى بخش) هو أول من كتب الرحلة في الأدب الأردي، ويستدل على ذلك بقوله:

" مما لا شك فيه أن (يوسف خان كمبل پوش) قد بدأ رحلته في عام ١٨٢٨م، وأن السيد (فدا حسين عرف نبى بخش) قد قام برحلته في عام ١٨٣٩م، إلا أن مناط الحكم بقدم أي مُؤلِف يتوقف على قدم المُؤلَف ذاته... فإن كان سفر (كمبل پوش) هو الأسبق، إلا أن زمن تدوين وطباعة رحلة (تاريخ أفغانستان) لـ (فدا حسين) هو الأسبق، حيث دونت وطبعت عام ١٨٣٩م، في حين أن زمن تدوين رحلة (تاريخ يوسفى) لـ (كمبل پوش) كان في عام ١٨٤٦م، ونشرت عام ١٨٤٧م؛

(*) **مرزا حامد بيگ:** ناقد ومحقق باكستاني معروف، ولد عام ١٩٤٩م في مدينة كراتشي بباكستان، له العديد من المؤلفات أشهرها: افسانے كا منظر نامہ، تيسرى دنيا كا افسانہ، عالمى كلاسيک، اردو ادب كى شناخت. انظر: مرزا حامد بيگ: اردو افسانے كى روايت ١٩٠٣- ٢٠٠٩ء، دوست پبلى كيشنز- ٢٠١٠ء،١١٥٨: ١١٦١.

بما يعني أن رحلة السيد (فدا حسين) أسبق في الظهور من حيث التدوين والطباعة"[١].

وقد تولى نقاد الأردية الرد على الرأي الذي ذهب إليه (مرزا حامد)، حيث اعتبروه رأيًا مغلوطًا تمامًا لا يصمد أمام النقد الأدبي البناء؛ فهم يرون أن (مرزا حامد) قد بنى رأيه على فكرة خاطئة من الأساس، حين اعتبر كتاب (تاريخ أفغانستان) من أدب الرحلات، على الرغم من أنه يخلو من كل الظواهر الفنية والأسلوبية التي يجب توافرها في هذا الصنف الأدبي، وأنه لا يعدو كونه مؤلفًا تاريخيًا يحكي بعض الملاحم الحربية[٢].

وتكمن أهمية رحلة (عجائبات فرنگ: عجائب الفرنجة) ليس فقط في كونها أول رحلة تكتب في الأدب الأردي، بل لأنها ترصد الكثير من عادات العديد من البلدان الأوروبية والإفريقية وثقافاتها في ذلك الوقت خاصة فيما يتعلق بحضارة مصر والبرتغال وثقافتهما، كما يوجد فيها الكثير من الإشارات والعبارات التي تكشف النقاب عن الكثير من الأوضاع السياسية والتاريخية لمجتمع شبه القارة الهندية قبل حرب التحرير عام ١٨٥٧م، فضلًا عن أن أسلوبها تميز بالبساطة والسلاسة، حيث انتهج صاحبها أسلوب كتابة الرواية والقصة، وابتعد عن الأسلوب المسجى والمقفى الذي كان سائدًا وقتذاك.

---

(١) سعيد أحمد: آزادى كے بعد اردو سفرنامہ، عرشيہ پبلى كيشنز-دہلى، سنہ اشاعت ٢٠١٢ء، ص٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٥١.بتصرف.

ومن أشهر الرحلات الأدبية أيضًا التي ظهرت مبكرًا، ولاقت قبولًا ورواجًا رحلة (سفير اودھ) للشيخ مسيح الدين علوى، والتي كتبها بأسلوب أقرب ما يكون إلى أسلوب كتابة السيِّر الذاتية، وهو الأمر الذي أثار جدلًا ونقاشًا بين عدد من كبار نقاد الأردية وأدبائها حول طبيعة هذا العمل وتحديد جنسه الأدبي؛ هل هو من أدب الرحلات أم هو في الأساس سيرة ذاتية؟، ومن أشهر هؤلاء النقاد :(مرزا حامد بيک) و (أنور سديد*). غير أن ما يجعلها أقرب إلى جنس أدب الرحلات هو أن الكاتب بعد أن نَصَّبه الملك (واجد علي شاه*) سفيرا للبلاد في إنجلترا، أسهب في الحديث عن الكثير من المواقف التي تعرض لها مع أسرته في هذه الرحلة. ولهذه الرحلة أهمية كبيرة؛ إذ أنها تكشف النقاب عن كثير من الجوانب السياسية التي مرت بها البلاد في ذلك الوقت، فضلًا عن أهميتها التاريخية(١).

(*) **أنور سديد:** ناقد وأديب أردي مشهور، ولد في مدينة سرگودها بالهند عام ١٩٢٨م، له العديد من المؤلفات أشهرها: اردو ادب ميں سفرنامہ، اردو ادب کی تحريکيں، پاكستان ميں ادبی رسائل کی تاريخ، توفي عام ٢٠١٦م، للمزيد انظر: ملک مقبول احمد، ٥٠ نامور ادبی شخصيات، مقبول اكيڈمی - لاہور، اشاعت ٢٠١١، ص٥٨: ٦٢.

(*) **واجد على شاه:** آخر حكام المسلمين لمملكة اوده، اعتلى عرش اوده عام ١٨٤٧م، واستمر حكمه إلى أن خلعته الحكومة البريطانية عن عرشة عام ١٨٥٦م. كان يهوى الشعر والموسيقى، وإليه يرجع الفضل في تقديم موسيقى الـ (ٹھمری) الهندية القديمة في شكل الموسيقى الشعرية التي تؤدى بإرتجال وحركات جسدية بواسطة الراقصين. انظر:

Stanley Wolpert, Encyclopedia OF India, Tomson Gale corporation, U.S.A, 2006 Edition،

Vol. 1, p. 288 .

(١) سعيد أحمد: آزادی کے بعد اردو سفرنامہ، ص ٥٢. بتصرف.

ثم تبدلت الأوضاع كثيرًا بعد عام ١٨٥٧م الذي كان إيذانًا بسقوط الدولة المغولية، وإنزواء الثقافة الشرقية في البلاد، بعد أن بدأت تطغى عليها ــ شيئا فشيئا ــ الثقافة الغربية في ثوبها الصناعي الجديد، حين ظهرت الكثير من المخترعات التي أذهلت العالم، ومن ثم أصبحت الدول الغربية مزارًا يقصده الناس من كل حدب وصوب، لا سيما مع تطور وسائل النقل وسهولة المواصلات مقارنة بما كان عليه الأمر في السابق. وقد كان من الطبيعي أن يفيد الأدباء من هذه الميزات؛ فأكثروا من أسفارهم وترحالهم، ومن أشهر هؤلاء الأدباء السير (سيد أحمد خان*) الذي سافر إلى لندن ١٨٧٥م، وسطر ذكريات هذه الرحلة في مؤلف أسماه: (مسافران لندن: مسافرو لندن) والتي عقد فيها (سيد أحمد خان) مقارنة بين إنجلترا والهند في كثير من الجوانب كان في مقدمتها التعليمي والثقافي والحضاري، وكذا التعرف على الأسباب التي أخذت بالدول الغربية نحو التقدم والرقي[١].

توالت بعد ذلك مؤلفات كتّاب الأردية في هذا الصنف الأدبي، ومن أشهر هذه المؤلفات: رحلة (دورۂ ایام تعطیل: جولة أيام العطلات) للأديب الأردي الكبير (الطاف حسين حالي)، التي رصد فيها أهم المواقف

(*) **سر سيد أحمد خان**: ولد في ١٧ أكتوبر سنة ١٨١٧م، ونشأ في أسرة عريقة عرفت بعلمها وفضلها، تدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب القاضي، ومنحه الإنجليز لقب " سر: sir " فاشتهر بالسير سيد أحمد خان، وهو يعد رائد التعليم الحديث للمسلمين في الهند بتأسيسه مدرسة حديثة تعلم أبناء المسلمين العلوم المدنية، ومع مرور الوقت تطورت هذه المدرسة إلى أن صارت "جامعة عليجره". توفي في ٢٧ مارس عام ١٨٩٨م. للمزيد انظر: فرزانہ سید، نقوش ادب، سنگ میل پبلی کیشنز- لاہور، ١٩٩٨ء، ص٢٨٢: ٢٩٥. أيضًا: سليم اختر: اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے ٢٠٠٠ تک، سنگ میل پبلی کیشنز - لاہور، اشاعت ٢٠٠٠م ص ٣٣٠: ٣٣٤.

(١) سعيد أحمد: آزادی کے بعد اردو سفرنامہ، ص٥٣، ٥٤. بتصرف.

والذكريات التي صاحبته أثناء تنقله بين العديد من مدن الهند الكبرى، والتي من أهمها: (علي گڑھ، فيروز آباد، كانپور، آگره)، وكذا رحلتا (وسط ايشيا كى سير: رحلة في وسط آسيا، ورحلة "سير ايران: رحلة إيران) للشاعر والأديب الأردي المعروف (محمد حسين آزاد*)، كما لا يمكن غض الطرف عن رحلة العلامة (شبلي النعماني*) التي أسماها سفرنامه (روم ومصر وشام)، والتي قصد فيها عددًا من الدول الإسلامية؛ بهدف نقل النظام التعليمي في هذه البلدان إلى بلده الهند، بعد أن تخوف من حالة الانجراف خلف التعليم والثقافة الغربية، هذا وتعتبر رحلته هذه أول رحلة أردية تحوي بين طياتها الضوابط الفنية الخاصة بهذا الجنس الأدبي(١).

أما عن أشهر الرحلات الأردية في النصف الأول من القرن العشرين والتي حازت مكانة مرموقة من حيث التزامها بالضوابط والتقنيات الفنية، فهناك رحلة (سفرنامہ یورپ: رحلة أوروبا) لـ (منشى محبوب عالم) عام ١٩٠٠م، وكذا رحلة (١٩٠٧ كا جاپان: اليابان ١٩٠٧)، ومن أوائل

(*) **محمد حسين آزاد**: شاعر وأديب أردي مشهور، ولد سنة ١٨٣٠م في مدينة دهلي بالهند، له العديد من المؤلفات أشهرها: آب حيات، نيرنگ خيال، توفي عام ١٩١٠م. انظر: جهاں بانو بيگم: محمد حسين آزاد، ادارۂ ادبيات اردو، حيدر آباد دكن، ص ١٣، ١٤.

(*) **شبلي النعماني**: ولد في الهند عام ١٨٥٧م، درس الحديث والفقه، كما اجتاز امتحان المحاماة سنة ١٨٨٠م. تقلد عدة وظائف إلى أن اختاره سيد أحمد خان ليعمل أستاذاً للغة العربية والفارسية، وظل يشغل هذه الوظيفة ست سنوات، ثم عين أول سكرتير لجمعية تطوير اللغة الأردية عام ١٩٠٣م، ثم مديراً لنظارة العلوم والفنون، وأسهم في حركة الندوة، وعين مديراً لها عام ١٩٠٥م، كما ساهم في تأسيس دار العلوم التابعة لها، توفي عام ١٩١٤م. انظر: سمير عبدالحميد إبراهيم: الأدب الأردي الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، سلسلة آداب الشعوب الإسلامية(٢).ص٤٠٩.

(١)سعيد أحمد: آزادى كے بعد اردو سفرنامہ، ٥٦، ٥٧. بتصرف.

أديبات الأردية اللاتي خضن غمار هذه التجربة الكاتبة (نـــازلي رفيعـــه سلطان) صاحبة السبق كأول سيدة هندية تكتب في أدب الرحلات الأردي، وذلك حين كتبت رحلتها الأولى: (**سير يـورپ: رحلـــة أوروبـــا**) عـــام ١٩٠٨م، وقدمتها في صورة رسائل رصدت فيها الكثير من واقع أوروبا في ذلك الوقت. ثم تُتَوّج هذه الفترة برحلة العلامة الشاعر والفيلســـوف الباكستاني الكبير (محمد اقبال*) الذي سافر إلى أوروبا عدة مرات، رصد فيها تأثراته بالحضارة الغربية في صورة رسائل وكتابات متنوعة موجهة إلى أهل الشرق، إلا أنه لم يقم بنشرها في شكل رحلة أدبية، حتى جـــاء المحققان (محمد حمزه فاروقي) و (حق نواز)، وجمعا كـــل مـــا يتعلـــق بأسفار إقبال إلى أوروبا في هذه الرسائل والكتابات والصحف أيضًا، حيث نشرها (محمد حمزة) تحت عنوان: (**سفرنامہ اقبال: رحلـــة إقبـــال**)، ونشرها (حق نواز) تحت عنوان: (سياحت اقبال: رحلة إقبال)[١].

ولقد شهد أدب الرحلات الأردي في تلك الفترة تطورًا ملحوظًا شـــأنه شأن بقية الأجناس الأدبية الأخرى التي تأثرت كثيرًا بالثقافـــة الغربيـــة؛ كنتيجة حتمية لحركة الترجمة التي نشطت في تلك الفترة عقب الحـــرب العالمية الثانية وسفر عدد كبير من أدباء الأردية ومثقفيها إلى كثير من

(*) **محمد اقبال**: أحد أشهر المفكرين والفلاسفة والشعراء الإسلاميين في العصر الحديث، ولد في مدينة "سيالكوت" التابعة لإقليم البنجاب في ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م. بدأ اقبال في كتابة الشعر في مرحلة مبكرة، وله الكثير من الدواوين من أشهرها: "رسالة المشرق وضرب الكليم والأسرار والرموز"، توفى في ٢١ ابريل عام ١٩٣٨م. انظر: عبدالوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ط ٣، اقبال اكادمى – باكستان، لاهور ١٩٨٥م، ص١٩، ٢٠. وأيضاً: دائرة معارف اردو اسلامية، دانش گاه پنجاب - لاہور، طبع اول١٩٦٨ء، جلد ٣، ص٧: ٩.

(١) انظر: سعيد أحمد: آزادى كے بعد اردو سفرنامہ، ٦٣: ٦٧.

البلدان الأوروبية، وتأثرهم بالحضارة الغربية ثقافتها؛ مما كان له عظيم الأثر في الأدب الأردي بشكل عام وأدب الرحلات بشكل خاص، حيث عمد عدد كبير من هؤلاء الأدباء إلى تدوين رحلاتهم في أعمال أدبية، من أجل أن يطلعوا بني جلدتهم على ما وصلت إليه الحضارة والثقافة الغربية من تقدم ورقي في شتى مناحي الحياة؛ ونتيجة لهذا تنوعت أساليب أدب الرحلات الأردي وموضوعاته على نحو غزير، اتسعت معه دائرة التأليف في هذا الصنف الأدبي مما جعله شريكًا أساسيًا في التطوير والتغيير الثقافي الذي تشهده الساحة الأدبية الأردية.

مساجد مصر القديمة في الرحلة الأردية

منذ زمن بعيد ولم تنقطع ــ نهائيًا ــ أسفار ورحلات سكان شبه القارة الهندية إلى مصر؛ لأسباب وأهداف متعددة، فتارة تكون من أجل التجارة وكسب الرزق، وتارة تكون من أجل تلقي العلم والوقوف على كل ما هو جديد في مناهجه وطرقه، وتارة أخرى تكون من أجل السياحة وزيارة المناطق الأثرية، لا سيما الإسلامية منها؛ إذ لا يتصور أن يزور أحدهم مصر دون أن يرى مساجدها العتيقة، ويزور أضرحتها الشهيرة؛ لذا فقد تعرض الكثير من أدباء الأردية في الهند وباكستان إلى مساجد مصر القديمة، وأفردوا لذلك فصولًا عديدة، تناولوا فيها بالوصف والتحليل تلك المساجد والأضرحة، وعبروا عما انتابهم من مشاعر روحانية ووجدانية عند زيارتهم لها بطرق وأساليب مختلفة، وفيما يلي عرض موجز لبعض أهم هذه الرحلات:

(أ) رحلة شبلي النعماني: (سفرنامہ روم ومصر وشام):

كانت نفس (شبلي النعماني) دائما ما تحدثه بالقيام برحلة إلى بعض أشهر بلدان العالم الإسلامي؛ قصد الوقوف على ما وصلت إليه من تقدم في المجالين العلمي والأدبي، غير أن كثرة انشغالاته حالت دون تحقيق هذه الرغبة، إلى أن أصابته وعكة صحية، فنصحه بعض الأطباء بالسفر، وتغيير الأجواء المحيطة به لبعض الوقت، فقرر القيام بهذه الرحلة التي طالما أرجئها، وكان ذلك في عام ١٨٩٢م، حيث وصل ميناء مدينة بورسعيد في ١٤ مايو ١٨٩٢م، وقصد العديد من المساجد القديمة والأضرحة في مدينة القاهرة، كان في مقدمتها جامع الأزهر الشريف، ومسجد عمرو بن العاص، ومسجد السيدة زينب، ومسجد الإمام الحسين، ومسجد الإمام الشافعي[١].

وقد صرح شبلي في مقدمة رحلته هذه بأنها ليست رحلة بالمعنى المتعارف عليه آنذاك، إذ أنها لم تكن ترتكز في المقام الأول على وصف البلاد والأمكان والشوارع التي يزورها وصفًا شكليًا، وإنما كان هذفه الأكبر من وراء هذه الرحلة هو رصد حركة التعليم والمجتمع المصري في ذلك الوقت؛ لذا أفرد العديد من الصفحات داخل رحلته للحديث عن المطابع المصرية الرائجة في ذلك العصر، وكان في صدارتها مطبعة (بولاق) التي أشار إلى دورها الرائد في نشر العديد من الأعمال العظيمة، كما خص الجرائد المصرية بنصيب وافر من الاهتمام، وكان من أهم الجرائد التي تعرض لها: (المؤيد والمقطم والأهرام)، كما لم يغفل الحديث

(١) انظر: شبلى النعمانى: سفرنامہ روم ومصر وشام، مہتاب پريس- دہلى، سن اشاعت ١٣٠٩ هـ.

عن الجمعيات والمؤسسات المصرية ودورها في نشر العلم ورعايته، ومن أشهر هذه الجمعيات التي ورد ذكرها بين ثنايا حديثه عن الجمعيات جمعية (علماء مصر) التي تأسست عام ١٨٥٩م، وكذا (المجمع العلمي المصري) الذي أسسه الفرنسيون عام ١٧٩٨م، ورعاه الخديوي إسماعيل فيما بعد[١].

(ب) رحلة حافظ عبدالرحمن الأمرتسري* (سفرنامہ بلاد اسلامیہ):

شرع **حافظ عبدالرحمن** في هذه الرحلة في ٨ مارس من عام ١٨٩٨م، إلا أنه فرغ من كتابتها في ديسمبر عام ١٩٠٤م، وقد قصد فيها عددًا من البلدان العربية والإسلامية: (مصر وتركيا وسوريا)؛ وهي رحلة علمية استكشافية استمرت لما يقرب من عامين، إذ كان الغرض منها الوقوف على ما وصلت إليه هذه البلاد من تقدم ورقي في مختلف المجالات، لا سيما في مجالات التعليم ونظم الحكم والصحافة، وقد وصل كاتب هذه الرحلة إلى مصر في ٩ مايو من عام ١٨٩٨م، وزار المساجد والأضرحة المنتشرة في مصر القديمة، وكذا بعض التكايا والزوايا الصوفية وعلى وجه الخصوص التكية الهندية، كما زار الأزهر الشريف وأروقته، وتعرف على مناهجه الدراسية وطرق التدريس فيه، وعقد

(١) انظر: شبلى النعمانى: سفرنامہ روم ومصر وشام.

(*) أحد أشهر كتّاب الهند في النصف الأول من القرن العشرين، ولد في مدينة (امرتسر) التابعة لإقليم البنجاب في شمال غرب الهند، له العديد من المؤلفات من أشهرها: (كتاب النحو، وكتاب الصرف، عربى بول چال).

موازنة بينه وبين التعليم العام وخاصة كلية دار العلوم، كما تطرق الحديث إلى التعليم الغربي ومدارسه الموجودة آنذاك في مصر[1].

تطرق أيضًا **حافظ عبدالرحمن** في رحلته إلى نظام الحكم في مصر وتاريخه منذ محمد علي باشا مرورًا بإسماعيل باشا وعباس حلمي باشا وحتى الاحتلال الإنجليزي لمصر، كما أسهب في الحديث عن وضع القوات والجيوش في البلاد التي زارها، والنظم والقواعد المعمول بها في تقلد المناصب داخل جيوش هذه البلاد[2].

(ج) رحلة قاضي ولي محمد* (سفرنامۂ مصر):

قام بها في الأول من من شهر ذي الحجة الموافق ١٣٤٦ هـ، وذلك بأمر من السيد (سيد محمد محسن) رئيس تحرير (اوده اخبار) الذي طلب منه السفر إلى مصر والكتابة عنها؛ لما لها من ثقل علمي وديني في العالم الإسلامي، وقد تم الاعداد الجيد لهذه الرحلة، وهُيِّئت كل الظروف، وأُزيلت كل العقبات من أجل أن تثمر عن عمل يستفاد منه في نقل التجارب والخبرات في مختلف المجالات، حيث نجح كاتب هذه الرحلة في أن يلتقي بشخصيات ورموز دينية وأدبية وسياسية لها عظيم الأثر ــ وقتئذ ــ ليس في مصر فحسب، وإنما امتدد أثرها ليصل إلى عواصم وبلدان عربية وإسلامية أخرى؛ منهم على سبيل المثال لا الحصر: (شيخ

---

(1) حافظ عبدالرحمن امرتسرى: سفرنامہ بلاد اسلامیہ، كشمير بازار- لاهور، ط ٢/ ١٩٤١ء.

(2) انظر: المرجع السابق.

(*) السكرتير الخاص لآخر حكام ولاية بهوبال: الأمير (حميد الله خان) الذي حكم في الفترة من ١٩٢٦م وحتى ١٩٤٩م.

الأزهر، ومفتي الديار المصرية، ووزير الأوقاف، ووزير التعليم، ورئيس الحزب الوطني، ووزير العدل). هذا وقد رافق (قاضي ولي محمد) طوال رحلته هذه السيد (سيد أبونصر بهوپالي) الذي كان يتلقى تعليمه ــ حينئذ ــ في الأزهر الشريف قادمًا من الجامعة الملية بالهند[١].

توقف الكاتب ــ أثناء سفرته هذه ــ عند مساجد وأضرحة مصر القديمة كثيرًا، وأفرد لها فصلًا داخل الرحلة بعنوان (مساجد القاهرة)، تناول فيه أهم المساجد التي زارها، والتي كان من بينها: الجامع الأزهر الشريف، ومسجد بن طولون، والسلطان حسن، والحسين، والسيدة زينب، والسيدة نفيسة، زار كذلك مسجد النبي (دانيال) بالأسكندرية، كما زار عدد من المقابر والأضرحة والقلاع، منها: مقابر الأتراك وضريح الإمام الشافعي وقلعتي قايتباي بالأسكندرية وصلاح الدين بالقاهرة.

(د) رحلة محمد اقبال أنصاري* (نيل سے فرات تک: من النيل إلى الفرات)

قصد محمد اقبال أنصاري في هذه الرحلة عددًا من العواصم العربية هي: (القاهرة وبيروت ودمشق وعمان وبغداد) بناءً على طلب من (Indian council of World affairs: المجلس الهندي للشئون العالمية)؛ بغرض دراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية والحضارية الخاصة بهذه العواصم، وكانت بداية الرحلة في ٢٩ أكتوبر من عام ١٩٥٤م، وقد نُشرت في البداية في صحف الهند وباكستان في شكل

(١) قاضى ولى محمد: سفرنامۂ مصر، نامى پريس- لكهنو، بار اول مئى ١٩٢٨ء.

(*) الرئيس الأسبق لقسم العلوم الإسلامية، جامعة (علي كره) مسلم، الهند.

رسائل ومذكرات، إلى أن قرر كاتبها مراجعتها وتهذيبها، ومن ثم عاود نشرها في عمل أدبي مستقل، رصد فيه كل ما يتعلق بالمجتمعات والحركات والاتجاهات الأدبية السائدة في تلك العواصم التي زارها، وأفرد لمصر مساحة كبيرة داخل الرحلة، تحدث فيها عن مؤسساتها الدينية ومساجدها العريقة الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، كما تعرض كذلك للحديث عن المذاهب والتيارات الدينية والاصلاحية السائدة في مصر آنذاك[1].

(1) محمد اقبال انصار: نيل سے فرات تک، الجمعيہ پريس- دہلى، ط ١٩٦٢ء.

المبحث الأول: (سلمى أعوان) ودوافع الرحلة:

(أ) سلمى أعوان... حياتها وأعمالها:

ولدت في الحادي عشر من سبتمبر عام ١٩٤٣م في قرية (سمى پور) التابعة لمدينة (جالندهر) بالهند لأسرة تنتمي إلى الدولة القطب شاهية، ويعتبر الجد الأكبر جمال الدين؛ هو الشخصية الأبرز في هذه العائلة، والذي بلغ شغفه بالعلم أن علم نفسه بنفسه، ورغم كونه ينتمي إلى طبقة الإقطاعيين، إلا أنه اتصف بالعدل والتواضع ومحبته للأدباء والشعراء، كما أنه حرص على تعليم سائر أبنائه العلوم والآداب المختلفة السائدة في ذلك الوقت، كما كانت زوجته السيدة (**نور بيگم**) شديدة التعلق بالشعر حتى أنها كانت تقرض الشعر باللغة البنجابية، لكنها سرعان ما توقفت عن قرض الشعر بعد وفاة زوجها في سن مبكرة، حيث تحملت مسئولية إدارة شئون حسابات الأراضي إلى جانب تربيتها لأولادها ورعايتهم. وقد كان للجد جمال الدين أخ يدعى (أمير الدين)، له من الأبناء أربعة، آخرهم محمد علي الذي تزوج بابنة جمال الدين السيدة (أم كلثوم)، وأنجب منها الكاتبة والأديبة الأردية (سلمى اعوان)[١].

وبعد إعلان قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧م هاجرت مع أسرتها إلى مدينة (لاهور)، حيث بدأت معاناتهم من التأقلم مع الظروف الحياتية الصعبة؛ فقد فقدت الأسرة أراضيها، وتركت ممتلكاتها في الهند، كما فقد الأب عائل الأسرة وظيفته المرموقة، وأصبح عليه البحث عن أي عمل

(١) انظر: فرزانہ اعوان: سلمی اعوان کی ادبی خدمات، مقالہ ایم – اے، شعبۂ اردو، گورنمنٹ کالج، لاہور ٢٠٠٢ء، ص١٢.

يكفل له ولأسرته حياة كريمة، مما اضطره إلى العمل نجارًا، ثم موظفًا في إحدى المدارس الحكومية،[1]، ولقد تسببت كل هذه الظروف الشاقة في إصابة والد (سلمى أعوان) بصدمة نفسية كبيرة؛ نتيجة شعوره بالمهانة والنقص أمام أبنائه، وهو الرجل الذي كان يعيش حياة الرفاهية والغنى التي كان يعيشها أبناء الطبقة الارستقراطية، ولم تنجُ (سلمى أعوان) نفسها من الشعور بالتشتت والإحباط في ذلك الوقت، لا سيما وأن بنيانها الجسماني والفكري لم يكن قد اكتمل بعد؛ حتى يعي ويستوعب كل هذه المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتسارعة حولها.

تعليمها:

بدأت (سلمى أعوان) تعليمها الإبتدائي في مدينة لاهور، ثم في عام ١٩٥٩م اجتازت امتحان الشهادة الإعدادية في المدرسة الإسلامية للبنات بذات المدينة، ولم تكن (سلمى أعوان) متفوقة دراسيًا في تلك الفترة لسببين، الأول: أن والدها لم يكن مهتما بتعليمها في ذلك الوقت؛ نظرًا للظروف المادية القاسية التي ألمت بالأسرة، وإن كان قد عدل عن ذلك بعدما تحسَّنت حالتهم المادية شيئًا فشيئًا، أما السبب الثاني: فهو أن والدتها كانت ترغب في أن تصبح ابنتها طبيبة في المستقبل؛ لذا كانت دائما ما تجبرها على مطالعة الموضوعات العلمية ودراستها، ولم يكن لدى (سلمى أعوان) أية رغبة في دراسة مثل هذه الموضوعات، إذ كانت

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

شغوفة كل الشغف بقراءة القصص والروايات، وكذا قراءة الكتب والمقالات الأدبية[١].

التحقت الكاتبة في عام ١٩٦١م بالكلية الإسلامية بلاهور، وتخرجت منها عام ١٩٦٤م، ثم في عام ١٩٦٧م حصلت على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة البنجاب، مكثت بعدها في البلاد فترة، ثم سافرت بعد ذلك إلى باكستان الشرقية (بنجلاديش حاليًا)، لتلتحق بجامعة (دكا)، وتحصل منها على درجة الماجستير في التعليم عام ١٩٧٣م، وهناك التقت بالشيخ (حبيب الرحمن)[*] الذي كان له عظيم الأثر في شخصيتها وفكرها الخالي من كل أنواع التعصب[٢].

حياتها الاجتماعية:

نشأت (سلمى أعوان) في أسرة تولي التعليم والثقافة والأدب اهتماما بالغًا، يستوي في ذلك الذكور والإناث؛ حيث نالت المرأة في تلك الأسرة حقها في التعلم، وتحصيل العلم في مجالاته المختلفة، هذا رغم تواجدهن في تلك الحقبة في مجتمع شديد الانغلاق كالمجتمع الباكستاني، يرى أن زواج الفتاة في سن مبكرة أولى وأهم من أي أمر آخر، حيث كانوا يعدون الفتاة عبئًا ثقيلًا على كاهل رب الأسرة، لا خلاص منه إلا

---

(١) انظر: فرزانہ اعوان: سلمى اعوان كى ادبى خدمات، ص١٣. بتصرف.

(*) **حبيب الرحمن:** محدث وفقيه مسلم ولد عام ١٩٠١م في شمال الهند، له العديد من المؤلفات الدينية أشهرها: الحاوي لرجال الطحاوي، الاتحافات السنية بذكر محدثي الحنفية، توفي عام ١٩٩٥م. انظر: شمس تبريز خان: محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن، مجلة ثقافة الهند، مجلد ٤٦، عدد ١، ط ١٩٩٢م، ص ١٣٨.

(٢) فرزانہ اعوان: سلمى اعوان كى ادبى خدمات، ص ١٣. أيضًا: http://www.salmaawan.com

بزواجها، خاصة في ظل تلك الظروف الاقتصادية القاسية التي كانت تحيط بالدولة الناشئة (باكستان)، فضلًا عن بعض العادات والممارسات الخاطئة المتوارثة منذ القدم والتي من شأنها أن تحط من قدر المرأة، وتجعلها في مكان غير متكافئ مع الرجل في الحقوق والواجبات، هذا وقد ورثت الكاتبة عن جدها الأكبر (جمال الدين) شغفه بالعلم والأدب، فانكبت على العلم تنهل من ينابيعه سنوات طويلة شغلتها عن التفكير في أمر الزواج حتى عادت من رحلتها العلمية من جامعة (دكا) عام ١٩٧٣م، وتزوجت من السيد (ذي الفقار علي) أحد أقارب والدتها، وأثمر ذلك الزواج ولدين وبنتًا[١].

رُزقت (سلمى أعوان) من زواجها هذا بولدين وبنت.

تزوجت ابنتها عقب حصولها على درجة الماجستير في اللغة الإنجليزية، كما حدث مع والدتها تماما، بينما سافر ابنها الأكبر إلى أستراليا للدراسة، وحصل من هناك على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، كما حصل الابن الأصغر على درجة الماجستير في القانون من جامعة البنجاب[٢]، فقد زرعت الأم في قلوب أبنائها وعقولهم منذ الصغر محبة العلم، وأهميته في تكوين شخصية الإنسان وتهذيبه، ودوره في بلورة أفكاره في صورة سوية، تنير له الطريق، وتهديه سبل الرشاد.

(١) فرزانہ اعوان: سلمى اعوان كى ادبى خدمات، ص ١٣.
(٢) انظر: فرزانہ اعوان: سلمى اعوان كى ادبى خدمات، ص١٦.

أهم أعمالها الأدبية:

تنوعت أعمال (سلمى أعوان) الأدبية ما بين الرواية والقصة وأدب الرحلات، فضلًا عن مقالاتها وكتاباتها الأدبية الأخرى المنشورة في عدد من مجلات باكستان الأردية وصحفها؛ والتي تدعو من خلالها إلى التسامح والتمسك بالقيم الإنسانية والتعايش السلمي مع الآخر، ساعدها في هذا كثرة أسفارها، وتنقلها من بلد إلى آخر، مما كان له عظيم الأثر في إثراء ثقافتها العلمية والأدبية، واتساع مداركها الفكرية، حيث تعرفت على ثقافات أخرى مغايرة للثقافة التي نشأت وترعرت فيها، فأيقنت أن التنوع الثقافي والاختلاف بين الأمم سنة من سنن الخالق، وآية من آياته، يقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[1]. فالغاية من جعل الناس شعوبًا وقبائل ليست التناحر والخصام، وإنما التعارف والوئام، الذي يدعم التعاون الخلّاق، ويحقق ما تطمح إليه الإنسانية من أهداف، فالبشرية كلها أسرة كبيرة، خلقها الله، ووضع لها من القوانين ما يضمن لها التعاون والتعايش، والتواصل النافع لتنمية شاملة في مناحي الحياة وكافة المجالات.

أكدت (سلمى أعوان) في أدبها عامة، وفي أدب الرحلات خاصة أن العالم بحاجة ملحة إلى التواصل الثقافي للتقريب بين الشعوب لتحقيق الوفاق ونبذ الشقاق، والقضاء على هوة الخلاف، حتى يتحقق التعايش السلمي والتعاون المشترك بين الأمم، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال فهم

(1) سورة الحجرات، الآية ١٣.

ثقافة الآخر فهماً جيداً ودراستها دراسة عميقة للوقوف على ما فيها من قيم توافق مجتمعنا وهويتنا الإسلامية، وكذلك اجتناب كل ما يتنافى مع قيمنا وثقافتنا وأخلاقنا. وفيما يلي نعرض ــ بشكل موجز ــ لأهم أعمالها وإسهاماتها الأدبية:

أولاً ـ في مجال الرواية:

للكاتبة روايات عديدة أهمها: ١- **شبيه**: رواية اجتماعية رومانسية، نشرت عام ١٩٦٧م، وفيها ترصد الكاتبة حالة الخلل التي أصابت المجتمع؛ نتيجة التصارع والتسارع بين طبقاته من أجل الكسب السريع وتحقيق الثراء والغنى، دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى، حيث أصبح المال غاية وليس وسيلة؛ غاية تلهث وراءها بعض الأسر التي تجبر بناتها على الزواج من أي ثري يتقدم للزواج بهن، ويغضون الطرف عن علمه وخلقه وثقافته، ولا يهتمون للأسرة التي نشأ فيها، غافلين أو متغافلين رغبة الفتاة في ذلك الزوج، مما يتسبب في ضياع الأسرة وتفتتها، ومن ثم تمزق نسيج المجتمع واختلال توازنه.

٢- **ثاقب**: رواية تاريخية رومانسية، تحكي أحداث حرب عام ١٩٦٥م؛ تلك الحرب التي دارت رحاها بين الهند وباكستان، على خلفية قيام القوات الهندية في الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٥م بشن هجمات علي المراكز الباكستانية في منطقة (تيتوال)، مما اضطر القوات الباكستانية إلى القيام بهجوم عنيف علي منطقة (شامب) بالقرب من (جامو)، فنشبت حرب بين البلدين استمرت خمسين يومًا، خلفت وراءها آلاف الخسائر لكلا الجانبين. وقد تناولت الكاتبة في هذه الرواية أسباب هذه الحرب، وآثارها السلبية، وكيف كان بالإمكان تداركها لو أن

القادة أعملوا العقل، وتركوا للشعوب حق تقرير مصيرها في العيش بسلام وأمان دون صراعات وحروب، كل ذلك من خلال علاقة حب ربطت بين فتاة باكستانية وبين طيار مقاتل في الجيش الباكستاني يدعى (ثاقب)، الذي يستشهد دفاعًا عن وطنه وأرضه.

٣- **تنها (الوحيدة)** : وهي رواية تاريخية، انتهت سلمى اعوان من كتابتها في أواخر عام ١٩٧٢م، إلا أن جميع دور النشر في ذلك الوقت رفضت نشرها، وربما كان السبب في ذلك ما شهدته تلك الفترة في باكستان من تضييق على الحريات وغياب للديمقراطية، لكن وبعد مضي عشر سنوات، كُتب لهذه الرواية أن ترى النور. ألقت الكاتبة في هذه الرواية الضوء على بعض آلام المجتمع الباكستاني ومعاناته أعقاب أحداث عام ١٩٧١م، والتي أسفرت عن انفصال إقليم باكستان الشرقية عن باكستان الغربية، كنتيجة حتمية لعدم تفهم القادة في ذلك الوقت للفروق الثقافية والاجتماعية بين شعبي البلدين.

٤- **زرغونـه:** وهي رواية اجتماعية، تسرد تفاصيل حياة بعض الغانيات اللاتي يعشن في مدينة لاهور عن طريق بطلة الرواية (زرغونه)؛ تلك الفتاة البسيطة التي تنشأ في بيئة فقيرة، يمتهن نساؤها الرقص والغناء، ومن خلال بطلة الرواية تحكي الكاتبة ما يعترض حياة أولئك النسوة من مصاعب ومشكلات اجتماعية أجبرتهن على امتهان تلك المهنة القاسية، كما ألقت الضوء على القيود الاجتماعية المتمثلة في بعض العادات والتقاليد البالية التي تتحكم في مصائر بعض الطبقات، وتتعارض مع ما جاء به الدين من أحكام وشرائع سماوية، مما يتسبب في ضياع الحقوق الأساسية للمنتمين إلى هذه الطبقات، وكذا حرمانهم من العيش في سلام ووئام مع بقية طبقات المجتمع.

ثانيًا ـ في مجال القصة:

للكاتبة خمس مجموعات قصصية، أشهرها: ١- (**خوابوں کے رنگ: أطياف الأحلام**)؛ نشرت عام ٢٠١١م، وضمت ثلاث عشرة قصة، دارت جلها في فلك بعض الأفكار والفلسفات التي تؤمن بها الكاتبة فيما يتعلق بالحياة ومشكلاتها، وكيف للإنسان أن يتغلب عليها. ٢- (**کہانیاں دنیا کی: حكايات العالم**)؛ نشرت هذه المجموعة عام ٢٠١٣م، وتضم سبع قصص جمعتها الكاتبة من مختلف البلدان التي زارتها. ٣- (**ذرا سنو تو فسانہ میرا: فلتستمعوا قليلًا إلى قصتي**)؛ نشرت عام ٢٠١٦م، وقد ضمت عشرين قصة، ناقشت فيها العديد من القضايا الاجتماعية.

ثالثًا ـ أدب الرحلات:

طافت الكاتبة بالعديد من البلدان العربية منها: مصر والعراق وسوريا، كما زارت (روسيا وسريلانكا وإيطاليا وتركيا)، وقد أسفرت هذه الزيارات عن نتاج أدبي تمثل في مجموعة من الرحلات الأدبية المتنوعة التي تحوي مجموعة من الصور والمشاهدات والقصص الواقعية التي رصدتها الكاتبة أثناء تجوالها في هذه البلدان والأماكن، ووفقت إلى حد كبير في أن تقدم إلى القارئ الأردي الكثير عن العادات والتقاليد السائدة عند شعوب تلك البلاد، وللكاتبة في هذا الصنف الأدبي العديد من الرحلات منها: ١-**یہ میرا بلتستان: (هذه (بلدي) بلتستان)** ٢- (**مصر میرا خواب: مصر حلمي**)، ٣- (**روس کی ایک جھلک: لمحة عن روسيا**)، ٤- (**عراق اشک بار ہیں ہم: نحن بكاة العراق**)، ٥- (**بلاد الشام امن سے جنگ تک: بلاد الشام من السلام إلى الحرب**).

(ب) دوافع هذه الرحلة:

ارتبطت الكاتبة منذ نعومة أظافرها بذكريات جميلة ومشاعر طيبة مع بلدنا الحبيب مصر، وعندما سُئلت في البرنامج التلفزيوني (كتاب) الذي يبث على قنوات التلفزيون الباكستاني عن تلك الأسباب التي دفعتها إلى القيام بهذه الرحلة أجابت قائلة: "في طفولتنا كان دائمًا ما يحدث شجار بيني وبين إخوتي، وكانت والدتي –كالعادة– تتدخل لتنهي هذا الشجار، ثم تأخذ بأيدينا جميعًا إلى إحدى الحجرات؛ لتنشد لنا بصوتها العذب أشعار الشيخ (غلام رسول*) التي تحكي قصة سيدنا يوسف مع السيدة زليخا، وكنت أسمع الكثير من الألفاظ مثل: (كنعان، يوسف، عزيز مصر، فرعون، بنيامين، يعقوب)، وغيرها من الألفاظ والأسماء التي كانت بالنسبة إليّ في ذلك الوقت كالطلاسم، ومنذ ذلك الوقت نقش في قلبي وذاكرتي معا إلى الأبد حب مصر والتعلق بها، وتمنيت لو زرت هذا البلد العظيم، فضلًا عن أنني لم أكن أتلقى جوابًا شافيًا عن كثير من التساؤلات التي تتعلق بالتاريخ والحضارة المصرية القديمة؛ فودَّت لو أنني بحثت بنفسي عن إجابات لتلك التساؤلات، لا سيما وأن حضارة مصر القديمة لها من الخصائص الفريدة والعجيبة التي أدهشت العالم وأبهرته ما يجعلها تختلف في جوانب عدة عن بقية حضارات العالم القديمة الأخرى؛

(*) **غلام رسول:** شاعر بنجابي مشهور، ولد في قرية (دسوهه) التابعة لمدينة (هوشياربور) بالهند في عام ١٨٤٩م، له العديد من المؤلفات أشهرها: (أحسن القصص، چهٹياں)، توفي عام ١٨٩٢م. انظر: دائرة معارف اردو اسلامية، دانش گاه پنجاب - لاہور، طبع اول١٩٦٨ء، جلد٢/١٤، ص٥٥٦.

كالحضارة الهندية والصينية واليونانية"[١]. تقول (سلمى أعوان) في مقدمة الرحلة موضوع الدراسة:

"ربما لم تبلغ أمة في العالم ما بلغته مصر من إرث ثقافي له ما له من العظمة والجمال، تلك الحضارة العظيمة التي تزخر بالعديد من المدن القديمة قدم القرون الأولى مدعاة للعزة والفخر، فلكل مدينة من مدنها ما تتفرد به، سواء كان من زمن الفراعنة، أو الرومان اليونانيين، أو يرجع إلى عصور إسلامية عديدة لأجناس مختلفة سواء كانت (فاطمية أو تركية أو مملوكية)، فقد أسبغ كل عهد من هذه العهود شيئاً من العطايا على كل مدنها، فلو أن القاهرة معروفة بأهراماتها، فهي أيضًا تفخر بثقافتها الإسلامية المتنوعة والمنتشرة في كل أرجائها"[٢].

وبما أن حب مصر قد تولد لدى الكاتبة منذ صغرها، فقد تعلقت كثيرًا بحلم زيارتها والسفر إليها، وأخذ هذا الحب ينمو معها، ويتزايد شيئًا فشيئًا مع مرور الأيام، حتى امتلك عليها وجدانها، وأصبحت أسيرة هذا

---

(١) ملخص تم تفريغه من لقاء تلفزيوني أجري مع الكاتبة على التلفزيون الباكستاني في برنامج (كتاب) بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠١١م، للمزيد:

https://www.youtube.com/watch?v=MCH89DNz1-w.

(٢) دنیا کی شاید ہی کوئی قوم اپنے تہذیبی ورثے کی بنا پر اس درجہ اوج کمال پر پہنچی ہوئی ہو - جیسے یہ مصری - صدیوں پرانے شاندار تمدن کے مایہ ناز نمائندے شہروں شہروں پھیلے اس کے ہر شہر کو منفرد کرتے ہیں۔ فراعنہ کا دور ہو، یونانیوں رومیوں کا زمانہ ہو، مسلمانوں کی مختلف نسلوں فاطمیوں ترکوں اور مملوکوں کے مختلف ادوار ہوں ہر عہد نے اس شہروں کو کچھ نہ کچھ سوغاتیں دیں۔ قاہرہ دنیا میں اپنے اہراموں کی بدولت اگر مشہور ہے تو اپنی اسلامی ثقافت کے جا بجا بکھرے رنگوں پر بھی نازاں ہے"۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، دوست پبلی کیشنز - اسلام آباد، اشاعت ٢٠٠٨ء، ص٣٦.

الحلم لفترة طويلة، وربما كان هذا هو سبب تسميتها لهذه الرحلة بهذا الاسم (مصر حلمي)، تقول (سلمى اعوان) في هذا الشأن:

"كانت مصر بالنسبة إليّ ذاك الحلم الخلاب المتجذرة حدوده بأعز ذكريات وجودي"(١).

ولأن (سلمى اعوان) تدرك تمامًا قدر مصر وقيمتها وثقلها الحضاري والثقافي؛ لذا فهي تعلم علم اليقين صعوبة المهمة التي أقدمت عليها حين قصدت الكتابة عن مصر، خاصة فيما يتعلق بزمن الفراعنة، ذلك المجال الأكثر صعوبة وتعقيد؛ نظرًا لأن المراجع التي يجب عليها الرجوع إليها في هذا الشأن باللغات الأجنبية، فكان لزامًا عليها القيام بعمل بحث تاريخي متعمق، والغوص في أعماق العديد من الكتب والوثائق التاريخية، وقد ساعدها في ذلك ما تمتلك من أدوات ومهارات وتقنيات في الكتابة الروائية مكنتها من الوصول إلى دقة الوصف عن المشاعر والأحاسيس الدافئة التي انتابتها اثناء مكوثها في مصر، فضلًا عن دراستها لتاريخ مصر الذي عضَّدَّ ما كتبته عن الوقائع والأحداث التاريخية التي مرت بمصر في أزمنة مختلفة، ومنحها أيضًا القدرة على ترتيب تلك الأحداث وتحليلها، تقول (سلمى اعوان):

" الكتابة عن مصر موضوع شاق وصعب، يحتاج إلى دراسة عميقة جدًا، والفضل لله على كل حال، فقد كتبت عن أحداث مصر بمصداقية تامة، والحكم للقراء، كيف وجدوها؟"(٢).

---

(١) مصر میرے بچپن کا وہ دلکش خواب تھا جس کے ڈانڈے میری عزیزترین ہستی کی یادوں سے جڑے ہوئے تھے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٩.

(٢) مصر مشکل اور خشک موضوع ہے۔ بہت گہرے مطالعہ کی ضرورت تھی۔ بہر حال خدا کا احسان ہے اپنی جانب سے میں نے اسے واقعات کی مکمل صحت کے =

تقول أيضًا:

"اتخذت مصر لها مئات الأشكال، وقد استقرت في حدقات عيوني بشكل دائم مئات الصور عن وجودها، وقضيت كثيرا من الوقت في تخيلها لسنوات"(١).

وقد رافق الكاتبة في هذه الرحلة ابنة خالها (ثنا)؛ الفتاة الصغيرة التي ما انفكت تلح على الكاتبة بالذهاب معها إلى مصر وزيارتها حتى استجابت لطلبها في النهاية، كما رافقتها أيضًا في هذه الرحلة صديقتها القديمة ورفيقة دربها (مهر النسا) التي دائما ما ترافقها في أسفارها، وفي هذا تقول (سلمى اعوان):

"عزمت الذهاب إلى مصر، ولا أعلم كيف تسرب خبر هذا العزم إلى آذان ابنة خالي تلك الفتاة الصغيرة فائقة الجمال ابنة العشرين ربيعًا، التي تعيش في المنزل.

-عمتي اصطحبيني معك، فإن رؤية مصر إحدى أمنياتي الكبيرة".

-فزعت، ونظرت إلى وجهها الجميل، وقلت في نفسي:

-يا إلهي! كيف سأتجول في بلد أجنبي بجمال (كيلوباترا) هذا الفاتن"...

=

ساتھ لکھا۔ فیصلہ تو قارئیں کے پاس ہے کہ انہوں نے اسے کیسا پایا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٨.

(١) مصر ہزار روپ دھارتا۔ اس کے وجود کے سینکڑوں رنگوں نے میری آنکھوں کی پتلیوں میں گویا مستقل بسیرا کر رکھا تھا۔ سالوں میں نے بہت سا وقت ان کی فینٹسی میں گزارا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٩.

–وهكذا صارت (ثنا) رفيقة سفري، أما (مهر النساء) فهي رفيقة سفري المخلصة من قبل"[١].

وهكذا عُرف عن الكاتبة منذ الصغر تعلقها الشديد بالحضارات القديمة، والتّوق إلى المغامرة والمشاهدة والتأمل في جمال الطبيعة وغرائب الخلق، والتعرف على المسالك والطبائع والآثار المتعلقة بالعصور القديمة؛ وهو ما وَلَّدَ بداخلها حب التنقل وتغيير الأجواء، قصد إشباع هذه الرغبة في الاستكشاف، وكذا الاستزادة من العلم في بلد آخر اشتهر أبناؤه وبرعوا في مجالات مختلفة كالعلم الديني والطراز العمراني الإسلامي الفريد.

(١) میں نے مصر جانے کا ارادہ کر لیا۔ معلوم نہیں اس ارادے کی بھنک بیس (٢٠) گھر پرے رہتی میری ممیری بہن کی نو عمر انتہائی خوبصورت بیٹی ثنا کے کانوں میں کیسے پڑگئی۔ "آنٹی مجھے بھی اپنے ساتھ لے چلیئے۔ مصر دیکھنا میری بڑی خواہشوں میں سے ایک ہے"۔ میں نے دہل کر اس کے حسین چہرے پر نظر ڈالی اور دل میں کہا۔ "اللہ! اس قلوپطرہ کے حسن جہاں سوز کو میں پرائے دیس میں کیسے سنبھالتی پھروں گی--- اور یوں ثنا سفری ساتھی بنی۔ مہر النساء تو میری پکی سفری ساتھی پہلے سے ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص١٠، ١١.

المبحث الثاني: المساجد الأثرية في الرحلة ... دراسة وصفية نقدية

ما إن تحققت أمنية الطفولة للأديبة الباكستانية، ووطأت أقدامها أرض مصر الطاهرة، حتى قررت زيارة الأزهر الشريف أهم وأعرق المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي، باعتباره منارة الفكر الإسلامي وعلومه منذ ما يربو على ألف عام، ثم زارت مسجد الإمام الحسين، الذي يعد من أجمل مساجد مصر وأروعها، وشاهد على عظمة العمارة الفاطمية ورقيها، كما تجولت في خان الخليلي، أحد أشهر أحياء مصر القديمة وأكثرها اجتذابًا للسياح، وراقتها كثيرًا البازارات والمحلات والمطاعم الشعبية؛ ولعل ما دفع الأديبة إلى البدء بأهم الآثار الإسلامية في مصر؛ هو ذاك الشوق والحنين المرتبط بنشأتها الإسلامية، وما سمعته وقرأته عن مكانة تلك المؤسسات الإسلامية في التاريخ الإسلامي وعظمتها. ثم زارت أهرامات الجيزة، وأبدت دهشتها ليس فقط من قدرة المصريين القدماء على بناء أهرامات بهذه الضخامة والارتفاع الشاهق، رغم أنه لم يكن يتوفر لهم ما يتوفر الآن من وسائل العصر الحديث، وإنما أيضًا من تلك الحقائق المحيرة التي تنكشف يومًا بعد يوم؛ لتؤكد أن هذه الأهرامات ليست مجرد مقابر لملوكها، وإنما خزانة أسرار ضخمة يكتنفها التعقيد والغموض الأسطوري.

والرحلة جاءت في مائتين وخمس عشرة صفحة، مقسمة إلى خمسة وعشرين فصلًا، واصلت فيها الكاتبة الحديث عن أشهر المعالم والمناطق الأثرية القديمة المنتشرة في جميع أرجاء مصر المحروسة، والتي زارتها عام ٢٠٠٨م على مدار أربعة عشر يوما قضتها الكاتبة وهي تتجول بين أهم معالم مصر السياحية وأشهرها، خاصة الموجودة

في محافظات القاهرة والجيزة والفيوم والإسكندرية وسيناء والأقصر وأسوان. وفي هذا تقول الكاتبة:

"أمضينا أربعة عشر يومًا كاملة في جنوب مصر والقاهرة والإسكندرية، وبقي لنا (زيارة) أهم مناطق مصر الشمالية كقناة السويس وجبل الطور والتي أبقيتها للجولة القادمة"(١).

هذا وقد قصدت الكاتبة ــ ليس فقط ــ أن تقدم إلى القارئ الباكستاني عملًا أدبيًا مشوقًا عن ثقافة مصر القديمة وحضارتها، وإنما قصدت كذلك أن تشركه فيما تشعر به من أحاسيس وروئ تجاه ما ترصده من مشاهدات أثناء رحلتها، حيث جاءت رحلتها ــ وإن بدت في ظاهرها تنتمي إلى أدب الرحلات ــ أقرب إلى أسلوب القصة والرواية، الذي مزجت فيه الكاتبة بين ما هو حقيقي ومتخيل.

وصف الكاتبة لطبائع وعادات وتقاليد سكان مصر القديمة:

لم يقف الوصف عند (سلمى اعوان) عند حدود الوصف المكاني والزماني لمساجد مصر وشوارعها وأسواقها وأزقتها، وإنما تعداه إلى وصف الروئ والأفكار، وكذا الخصائص الثقافية والاجتماعية والسياسية لقاطني هذه الأماكن وعاداتهم وتقاليدهم، وقد كان للكاتبة العديد من الصور والانطباعات الجميلة والجيدة في رحلتها إلى مصر، كما كان لها أيضًا وقفة مع بعض الانطباعات أو المآخذ السلبية التي قد يلحظها أو

(١) پورے چودہ دن مصر کے جنوبی حصے قاہرہ اور اسکندریہ میں گزار دئیے - شمالی مصر کی اہم جگہیں نہر سویز اور جبل طور پھر بھی رہ گئے - جو میں نے اگلے دورے کے لیے رکھ چھوڑے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٧.

يتعرض لها بعض السائحين أثناء زيارتهم الأماكن الأثرية، ومن أبرز هذه الانطباعات السلبية سوء معاملة سائقي سيارات الأجرة للسائح، وعدم إلمام عدد كبير منهم باللغة الإنجليزية، خاصة من يعمل منهم في مجال نقل المسافرين من وإلى المطار، حيث قد يتسبب تدافعهم وتنازعهم عليه في إرباكه وإخافته، تقول الكاتبة واصفة حالة الارتباك والاضطراب التي شعرت بها بسبب تدافع سائقي الأجرة عليها ما إن وطأت أقدامها خارج بوابات المطار:

"عندما خرجنا ــ بعد أن أنهينا جميع الإجراءات ــ لم تكن أخت السيد محبوب في انتظارنا كما توقعت تمامًا ...تجمع سائقو الأجرة، وكانت هذه مشكلة كبيرة وقتئذ، إذ لم أفهم شيئًا من تداخل العربية مع الإنجليزية، وعندئذ مثل أمامنا شخص سريع البديهة ولغته الإنجليزية أفضل، وقد أجلسنا في عربة شخص خاصته بعد أن انتشلنا من زحام سائقي الأجرة"[1]. تقول أيضًا:

(1) سب مراحل طے کرتے ہوئے جب باہر آئے تو میری توقع کے عین مطابق مسٹر محبوب کی بہن ہمارے استقبال کے لیے کہیں نہیں تھی-- ٹیکسی والوں کے گرد ہوئے- یہاں بھی گھمبیر مسئلہ تھا- عربی اور انگریزی کی کھینچا تانی میں کچھ پلے ہی نہیں پڑتا تھا- تبھی وہ تیز طرار سا علی اپنی بہترین انگریزی کے ساتھ سامنے آیا اور جس نے ہمیں ٹیکسی ڈرائیوروں کے ہجوم سے اچکتے ہوئے اپنے کسی بندے کی گاڑی میں بٹھایا- سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص۱۴.

"عند سؤال أحد الأشخاص اتضح أن المكان المقصود قريب جدًا، نلوح بأيدينا لسيارة الأجرة، فتقف، وما إن يعلم السائق أن المكان قريب حتى يغادر مشيحًا بوجهه"(١).

وعن عادة بعض النساء في مصر الذهاب إلى مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه والدعاء والصلاة فيه، لا سيما وأن تردد النساء على المساجد ليس محرمًا كما هو الحال في باكستان، تقول الكاتبة:

"كم نحن قصار النظر بجعل المساجد شجرة محرمة على النساء، الحمد لله أن مثل هذا لم يكن في مصر"(٢). تقول أيضًا:

"السيدة القادمة وقت المساء لم تكن تبكي حالها ولا أولادها، بل كانت تبكي المسلمين"(٣).

وتصف الكاتبة محبة النساء في مصر لدولة باكستان فتقول عن فتاة مصرية التقت بها أثناء زيارة مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه:

"ما إن علمت أنني من باكستان حتى غمرتني بالحب والعاطفة، فكانت عيوني تدمع، ليتنا أولينا اهتمامًا بتعلم اللغة العربية"(٤).

---

(١) کسی سے پوچھنے پر پتہ چلا کہ ہماری مطلوبہ جگہ زیادہ دور تو نہیں۔ ٹیکسی کے لیے ہاتھ دیتے ہیں رکتی ہے پر قریب کا جان کر منہ ٹیڑھا کرتے ہوئے ڈرائیور آگے جاتے ہیں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٠.

(٢) ہم کتنے کوتاہ بین ہیں کہ مسجدیں عورتوں کے لیے شجر ممنوعہ بنا دی گئی ہیں۔ خدا کا شکر ہے مصر میں ایسا نہیں تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٩.

(٣) شام سے آنے والی خاتون جو اپنے لیے نہیں اپنے بچوں کے لیے نہیں مسلمانوں کے لیے گریہ کناں تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٥.

(٤) پاکستان کا جان کر محبت اور جذبے سے اس نے مجھے اپنے ساتھ لپٹایا تھا۔ میری بھی آنکھیں اشکبار تھیں کاش ہم نے عربی سیکھنے پر توجہ دی ہوتی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٥.

فالكاتبة هنا تتمنى لو أنها أجادت اللغة العربية إجادة تمكنها من التعبير عما تكنه لمصر وشعبها من محبة خالصة ومشاعر طيبة ازدادت عمقًا ورسوخًا ما إن وطأت قدماها أرض مصر الطاهرة، وما وجدته من حسن المعاملة وكرم الضيافة من الغالبية العظمى ممن تعاملت معهم. فعندما فقدت ابنة خالها (ثنا) في محطة السكة الحديد، حيث غادر القطار المحطة دون أن تتمكن من اللحاق به، فأصابها الخوف والفزع؛ مغبة أن يصيب الفتاة الصغيرة مكروهٌ، فإذا بامرأة وزوجها يقفان إلى جوارها، ويعرضان عليها المساعدة، وحاولا قدر المستطاع تهدئتها، وتسكين فزعها، تقول الكاتبة:

"تلك المرأة التي كانت تجلس إلى جوار زوجها في العربة مرتدية النقاب، هي التي مسحت دموعي المنهمرة، الزوج والزوجة كلاهما كانا منشغلين بصرف قلقي بألفاظ عذبة ملؤها الطمأنينة وجبر الخاطر"[1].

وعن وعي المرأة المصرية وثقافتها وما تمتلكه من قدرات علمية، وكذا إلمامها بأهم الأحداث والتطورات التي تلحق بالعالم الإسلامي من حولها، تقول (سلمى اعوان) في حديثها مع الفتاة المصرية ذاتها:

(1) یہ وہ خاتون تھی جو ڈبے میں اپنے شوہر کے ساتھ بیٹھی تھیں۔ برقع پہنے ہوئے۔ جس نے بھل بھل بہتے میرے آنسوؤں کو صاف کیا۔ دونوں میاں بیوی تسلی اور دلجوئی کے شیریں لفظوں سے میری پریشانی کے اڑالے میں مصروف تھے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ١٨٠.

"ظللنا نتحدث سويًا حتى وقت متأخر، كانت أستاذة في علم الاقتصاد، وعلى دراية كبيرة باللغة الفرنسية، وكان لها وجهة نظر متعمقة في القضايا والمخاطر التي تحيط بالعالم الإسلامي"(١).

رصدت الكاتبة كذلك عادة اتباع بعض النسوة للجنائز، وقدمت وصفًا دقيقا لما كن يرتدينه فيها من ملابس سوداء حدادًا على ميتهم، حيث كتبت تقول:

"في الخارج شاهدنا مشهدا مليئًا بالعويل والبكاء والنواح؛ نسوة تلفحن بالعباءات والمناديل السوداء، حيث كن ينحن على الميت على الملأ، وقد كان جدًا أمرًا مثيرًا للعجب... فعندما يموت مصريٌ، فإن نساء بيته يطفن المدينة كلها في عباءات سوداء، وهن يبكين وينحن"(٢).

ولعل الكاتبة أخطأت فهم المشهد الذي رأته عن الجنازة التي انطلقت أمامها، فاعتقدت أن اتباع بعض النساء للجنازة يعني بالضرورة أن يطفن بالميت المدينة بأسرها، وهن يبكين، وينحن، كتقليد جنائزي يجب عليهن القيام به، وهذا غير صحيح، إذ أن المتعارف عليه في مصر هو اتباع بعض النساء للجنازة وهي في طريقها إلى المدفن.

---

(١) بہت دیر تک ہم ایک دوسرے سے باتیں کرتے رہے وہ اقتصادیات کی پروفیسر تھی۔ فرانسیسی پر اسے زیادہ عبور تھا۔ عالم اسلام کو درپیش مسائل اور خطرات پر اس کی گہری نظر تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٥.

(٢) باہر آہ وبکا اور ماتم بینوں سے پُر ایک منظر دیکھنے کو ملا۔ سیاہ چوغوں اور سیاہ رومالوں میں لپٹی عورتیں جس طرح کھلے عام ماتم کر رہی تھیں وہ بڑا تعجب انگیز تھا... جب کوئی مصری مرتا تو اس کے گھر کی عورتیں سیاہ لبادوں میں شہر بھر میں ماتم کرتی اور بین ڈالتی پھرتی تھیں۔سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٩.

وفيما يتعلق بملبس المصريين وهيئتهم في محيط منطقة مصر القديمة، تقول الكاتبة واصفة بعض المشاهد التي التقطتها أعينها، واحتفظت بها ذاكرتها:

"في الحارات يتجول الأطفال صغارًا وكبارًا، منهم الحفاة، ومنهم من ينتعل الحذاء، الزينة على وجوه الأطفال والنساء والفتيات، وكذا ألوان الملبس كلها تبهر الأبصار، الفتيات كان من بينهن العصريات جدًا، ومنهن البسطاء أيضًا، تمتزج الألوان؛ فمنهن البيض جدًا اللائي يخطفن القلوب، وهناك السيدات البدينات الطاعنات في السن بوجوههن البسيطة واللائي يحزمن شعورهن بمناديل، ويلبسن ثيابًا طويلة (يطلق عليها في اللغة العامية فستان)، عندما ينظرن، فإنهن ينثرن المحبة على شفاهٍ ملؤها الابتسامة، ويقلن: (أهلًا وسهلًا)"[1].

وأثناء تجول الكاتبة لم تنس كذلك الحديث عن الأطعمة وأنواعها، إذ كانت دائمة الحديث عن صنوف الطعام المختلفة التي تقدم سواء في المطاعم أو العربات في الشوارع والحارات في المناطق التي كانت تتجول فيها ليل نهار، وذلك من خلال أسلوب حكائي يقدم دلالة المكان، ويعكس الجانب الوجداني الصادق عند الكاتبة، وكذا مشاعرها النبيلة الممتزجة بالحنين النابع من دلالة المناطق الأثرية القديمة وأثرها في نفس الكاتبة:

([1]) گلیوں میں پھرتے چھوٹے بڑے بچے کسی کے پاؤں ننگے کوئی جوتا پہنے ہوئے۔ بچے عورتیں لڑکیاں ان کے چہروں کے نقش ونگار رنگ پہناوے سب آنکھیں بھٹکاتے تھے۔ لڑکیاں بڑی ماڈرن بھی تھیں اور عام سی بھی ۔ رنگ ملے جلے کہیں کوئی بہت گوری اور دل میں کھبتی ہوئیں کہیں بس عام سا چہرہ موٹی موٹی عمر رسیدہ عورتیں بالوں کو رومالوں سے باندھے لمبے لمبے فراک (مقامی زبان میں فسٹین (Fustan) پہنے جونہی دیکھتیں محبت بھری مسکراہٹ ہونٹوں پر بکھرا کر اھلا وسھلا کہتیں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص١٦٨.

"أثناء تجولنا في الحارات أكلنا أشياء أشبه ما تكون بالـــ (بكـــورا* والجليبي*) الساخنة المقلية في مقالٍ، هنا كانت محلات اللحم والخضار، كم كانت بيئة مألوفة جدًا، دخلنا البيـــوت، كـــان مـــن بينهـــا الفقيـــرة والميسورة، الأطفال يطوفون ويتجولون في المنازل والحـــارات، متـــى يذهبون إلى المدارس، علمت أن هذا اليوم كان إجازة"(١).

وتصف طبائع المصريين التي تميل إلى الهدوء والسكون والمسالمة، وكيف أنها نموذج للتعايش السلمي وعدم إثارة الاضطرابات والقلاقـــل، فرغم الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعصف بالبلاد فتـــرة حكـــم الرئيس الأسبق (محمد حسني مبارك)، ورغم عدم رضا غالبية الشـــعب المصري عنه، إلا أن الكاتبة لم ترصد حالة احتجاج واحدة ضده طـــوال فترة مكوثها في مصر، وفي هذا تقول:

"لم يكن الشعب راضيًا عن حسني مبارك، ولكن لـــيس فـــي النـــاس عنصر الاحتجاج، فكم من الأيام تجولنا في القاهرة، ولم يكن هناك أثـــر

(*) **البكورا:** نوع من الأطعمة الرائجة في الهند وباكستان، يعد من عجين دقيق الحمص في الغالب، ويقلى في الزيت مع بعض الإضافات، وهو يشبه الطعمية إلى حد كبير.

(*) **الجليبي:** نوع من الحلوى المقلية في الزيت، تشبه كثيرًا حلوى المشبك المعروفة في بلادنا.

(١) گلیوں میں پھرتے ہوئے ہم نے کڑاہیوں میں تلتے گرما گرم پکوڑے اور جلیبی جیسی چیزیں کھائیں۔ یہاں گوشت سبزی کی دکانیں تھیں۔ بڑا مانوس سا ماحول تھا۔ گھروں کے اندر بھی گئے۔ کہیں غریبی تھی اور کہیں خوشحالی۔ گھروں میں گلیوں میں گھومتے پھرتے بچے۔ سکول کب جاتے ہیں؟ اس دن چھٹی تھی۔ پوچھنے پر معلوم ہوا تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٣.

لمظاهرة أو تجمع أو رد فعل أو تخريب، الناس تجري في سكون مثل النهر الجاري"[1].

أشادت الرحالة (سلمى أعوان) كذلك بدور رجال الشرطة المصرية وحسن تعاونهم وتعاملهم مع السائح، وتصديهم لكل المشكلات التي قد تواجههم، وهو ما انعكس إيجابًا على حالة السائح وشعوره الدائم بالأمن والأمان في إقامته وجميع تنقلاته، وقد عبرت الكاتبة عن هذا بقولها:

"كان هناك رجل شرطة جالسًا في خدمته على دراية جيدة باللغة الإنجليزية، قلت له إنني من باكستان، كانت سعادته كبيرة، وعلمت منه أن هذا المسجد على الطراز الأندلسي"[2].

تقول أيضًا عن حالة الأمن والأمان التي شعرت بها طوال فترة إقامتها في مصر:

"استيقظنا، فشعرنا وكأننا جزء من حكاية في حكايات ألف ليلة وليلة، إن هذا البرنامج ــ حتمًا ــ لا ينسى، الحمد لله إننا رأينا كل شيء، وبقينا آمنين، كنا نرجع إلى الفندق عند الساعة الثانية والنصف ونحن نضحك ونمرح، القاهرة مدينة تستحق المديح، فلا خوف ولا فزع

(1) حسنی مبارک سے لوگ خوش نہیں ہیں۔۔ مگر لوگوں میں احتجاج کا عنصر نہیں پایا جاتا۔ کتنے دنوں سے ہم قاہرہ میں پھر رہے ہیں کہیں کوئی جلوس کوئی جلسہ کوئی ہنگامہ کوئی رد عمل کوئی توڑ پھوڑ۔ لوگ پرسکون بہتی ندی کی طرح رواں دواں ہیں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٥٠.

(2) ڈیوٹی پر بیٹھا پولیس والا انگریزی سے خاصی شناسائی رکھتا تھا۔ مین نے اسے کہا کہ میں پاکستان سے ہوں۔ اس کی خوشی بڑی تھی اور یہ مجھے اس سے پتہ چلا تھا کہ مسجد انڈولوسین سٹائل کی ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص١٨٥.

من أي شيء، السياح آمنون، الفتيات آمنات، الدولارات آمنة، الجنيه المصري آمن، الأشياء والأمتعة آمنة"[١].

أبدت الكاتبة كذلك إعجابها الشديد بأجواء القاهرة ليلًا وسط بريق أنوارها الساحرة، وجمال المحال والمتاجر فيها، والمصريون وهم يتجولون في شوارعها، وكذا منظر النيل وضفافه ليلًا، والقوارب التي تغدو وتروح في مياهه الصافية، تنبعث منها أصوات الموسيقى العربية الخلابة الممتزجة بصوت سيدة الغناء العربي (أم كلثوم)، تقول الكاتبة وهي تصف جمال هذه التجربة:

"إن الجلوس في صمت، ومراقبة القوارب المسرعة في الماء، والأنوار وهي تومض، والاستماع إلى الغناء والموسيقى العربية وهي تموج على كواهل الرياح ... والنزول في مياه النيل، ولمسها باليد، والاستماع عن قرب إلى (أم كلثوم)، تجربة جميلة ورائعة إلى حد كبير، فالأغاني والموسيقى العربية تريح النفس"[٢].

---

(١) اٹھے تو محسوس ہوا جیسے کسی الف لیلوی داستان کا حصہ تھے یہ پروگرام قطعی مس کرنے کے قابل نہیں تھا۔ اللہ کا شکر ہے کہ سب کچھ ہم نے دیکھا اور محفوظ ہوئے۔ ہنستے کھل کھل کرتے کوئی ساڑھے بارہ بجے ہوٹل آئے قاہرہ قابل تعریف ہے کہ یہاں کوئی ڈر اور خوف سرے سے موجود نہیں، سیاح محفوظ، جوان عورت محفوظ ڈالر محفوظ مصری پاؤنڈ محفوظ سامان اور چیزیں محفوظ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢١٥.

(٢) خاموش بیٹھ کر پانیوں میں رواں دواں کشتیوں اور روشنیوں کو ڈوبتے ابھرتے دیکھنا ہواؤں کے دوش پر لہراتی عربی موسیقی اور گیت سننا ---- نیل کے پانیوں میں اتر کر اسے ہاتھ سے چھونا اور ام کلثوم کو قریب سے سننا کہیں زیادہ خوبصورت اور انوکھا تجربہ تھا۔ عربی گیت اور موسیقی اس قدر دل نواز ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ١٧.

وفيما يلي تعرض الدراسة الوصفية للمساجد الأثرية في مصر القديمة بحسب ترتيب زيارة الكاتبة لها:

(أ) الجامع الأزهر الشريف:

كان الجامع الأزهر هو القبلة الأولى والكيان الديني والروحاني الذي تاقت نفس الكاتبة إلى زيارته في مصر منذ الوهلة الأولى، إذ أنها تعلم ــ يقينًا ــ قدر الجامع الأزهر وقيمته، وكذا دوره البارز في الدفاع عن الإسلام، وصون حقوق المسلمين كافة في مختلف العصور والأزمان، وذلك لما يربو على ألف عام، تعلم كذلك دوره المؤثر والكبير في العالم بأسره؛ باعتباره رمزًا دينيًا وثقافيًا يحظى بالاحترام والتقدير ليس فقط في جميع الأوساط والمجتمعات العربية والإسلامية، بل والإقليمية والدولية أيضًا، تقول (سلمى أعوان) موضحةً الأهمية الكبرى لتعاليم الأزهر الشريف ودور علمائه في جميع أرجاء العالم:

"إنه اليوم مؤسسة تعليمية مقدسة ذات شأن عظيم للمسلمين السنة، وفتاوى علمائها يثق فيها العالم العربي والأعجمي بأسره"[1].

وتصف الكاتبة شعورها بالصدمة عندما منعها الحارس من دخول الجامع الأزهر، دلالة على ما للجامع الأزهر من سطوة على وجدان الكاتبة، فتقول:

([1]) یہ آج سنی مسلمانوں کے لئیے ایک عظیم باوقار اور مقدس درسگاہ ہے جس کے علماء کے فتوی پوری عربی اور عجمی دنیا میں مستند جانے جاتے ہیں- سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٢.

"كيف ستمنعني من الدخول؟ وأنا متعطشة دومًا إلى رؤياه، لقد أصبحت الكأس الآن في حوزتي، وسأروي عطشي"(١).

وليس بخفي ما في هذه الصورة الأدبية من تفاعل صادق بين ذات الأدبية وموضوعها، وهو ما دفعها إلى استخدام مرجعيتها الأدبية بصياغة بلاغية رائعة، تحمل في الوقت ذاته الكثير من أحاسيسها ومشاعرها الصادقة النابعة من قداسة المكان وهيبته.

وعن تاريخ الجامع الأزهر كواحد من أهم المساجد الإسلامية في العالم، ومنارة ثقافية وعلمية تليدة، وصورة مشرفة ومشرقة لكل الجامعات الإسلامية، إذ يقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب، لينهلوا من ينابيع علومه المختلفة ومعين معرفته الذي لا ينضب طيلة ألف عام ويزيد، تقول الكاتبة بعد أن سُمح لها بالدخول:

"دخلنا، إنه الجامع والجامعة المسماة باسم السيدة (فاطمة الزهراء)، والتي تنسب إليها الدولة الفاطمية، ففي عام ٩٧٠ م وضع (جوهر الصقلي) القائد العسكري للخليفة المعز أساس هذا المسجد، وبدأت معه المدرسة، حيث تم بناء مدرسة الشيعة الإسماعلية عام ٩٨٨ م، خلال العهد الفاطمي، وفي عهد صلاح الدين الأيوبي تم تحويل هذه المدرسة إلى مدرسة سنية، وهي لا تزال سنية حتى اليوم"(٢).

---

(١) تم اندر کیسے نہیں جانے دو گے۔ میں تو اس کی دید کی ازلی پیاسی۔ اب یہ جام ہاتھ میں آیا ہے تو ایسے ہی تشنہ چلی جاؤں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢١.

(٢) ہم داخل ہوئے۔ یونیورسٹی اور مسجد حضرت فاطمہ الزہرہ کے نام نامی پر ہے جن سے فاطمی بادشاہت کو نسبت دعوی ہے۔ ٩٧٠ ء میں مسجد کی بنیاد خلیفہ معز کے فوجی جرنیل جوہر نے رکھی۔ مدرسے کا آغاز بھی اس کے ساتھ ہوا۔ ٩٨٨ء میں یہ اسماعیلی شیعہ سکول بنا۔ یہ مصر میں فاطمی دور تھا۔ صلاح الدین ایوبی کے عہد =

ثم أردفت تقول:

"هنا تدرس علوم القرآن والشريعة والمنطق والنحو والصرف والدراسات الإسلامية والعربية والعلوم العلمية، وقد كان التدريس في الأزمنة القديمة على هيئة (حلقة)، حيث كان يجلس (الطلاب) في شكل دائري حول أقدام شيخهم، غير أن العمل بهذه الطريقة قد تغير الآن، وذلك مراعاة لمتطلبات العصر الحاضر، إذ أن إنشاء أقسام علمية جديدة عام ١٩٦١م مثل الكيمياء والطبيعية والطب والهندسة والتجارة والفلك جعلت من الجامعة نموذجًا لمؤسسة فريدة؛ وذلك لمزجها بين التعليم الديني والدنيوي"(١).

ومن الملاحظ هنا أن الكاتبة قد مزجت بين تجربتها الشخصية المرتكزة على المشاهدة والتجربة التي تغلب على معظم أجزاء الرحلة وبين السرد التوثيقي القائم على البحث والدراسة، وذلك حين تحدثت عن الشق التاريخي المتعلق ببناء الجامع الأزهر ومنهجه وطرق التدريس فيه أوائل عهده، ولا شك أنها قد لجأت في ذلك إلى كتب التاريخ، لا سيما

=

میں اسے سنی سکول میں بدل دیا گیا جس پر یہ آج تک قائم ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢١.

(١) یہاں قرآن، اسلامی قانون، منطق، گرامر، اسلامک اینڈ عرب سٹڈی اور سائنسی علوم کی تعلیم دی جاتی ہے۔ زمانہ قدیم میں تدریسی عمل "حلقہ" کی صورت میں ہوتا یعنی شیخ کے قدموں میں ایک دائرے کی صورت میں بیٹھ کر۔ اب طریقہ ہائے کار بدل گئے ہیں۔ عصر حاضر کے تقاضوں کے پیش نظر ١٩٦١ء میں قائم ہونے والے شعبوں کیمیا، طبیعات، میڈیسن، انجینئرنگ، کامرس اور فلکیات جیسے نئی علمی شعبوں کے اجراء نے اسے دینی اور دنیوی تعلیم کے امتزاج کے حوالے سے ایک منفرد ادارے کی صورت دے دی ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢١.

وأن جل المعلومات التاريخية الواردة هنا تمتاز بالمصداقية(*)، وهناك شق آخر مرتبط بالتفاعل مع مستويات اللحظة الشعورية بين الكاتبة والمكان، وهو شق وجداني ظهر حين تحدثت عن العلوم الحديثة التي تدرس في الأزهر الشريف جنبًا إلى جنب مع العلوم الدينية، وهو الأمر الذي نال إعجابها بعد أن رأته وشاهدته بنفسها، مقررة أن الأزهر الشريف مؤسسة دينية وتعليمية لا نظير لها في العالم.

وصف الكاتبة للجامع الأزهر ومحيطه:

بدا المكان في الرحلة بشكل عام محددًا واضح المعالم، إذ أسهبت الكاتبة في رسم تفاصيل وملامح الأماكن الأثرية التي زارتها، كما لو أنها تلتقط صورة فوتوغرافية لها، ومرد ذلك إلى شغفها بالتفاصيل بكل أنواعها، خاصة تلك التفاصيل المرتبطة بطبيعة المكان ودلالته الروحانية والثقافية، مستعينة في ذلك بما تملك من أدوات فنية ومهارات أدبية استطاعت بها أن تخرج بالوصف من الإطار الجغرافي الضيق للمكان إلى عوالم جديدة تؤنس الذات، وترتقي بالمكان من حالة الوصف التقليدية الجامدة إلى حالة الحركة والحياة والفضاء الرحب الممتلئ بالمواقف والأحداث والأصوات، مثلما نجد في حديثها عن مآذن الأزهر وأبوابه والمكتبات والمطاعم التي تحيط به:

" وقفت صامتة أمام الباب الملاصق للمسجد تمامًا، كان هناك صوت سرمدي يدوي عبر المآذن ذات البناء الجميل ذي الحجارة البيضاء

(*) انظر: محمد عبدالمنعم خفاجي وآخر: الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة، ط٣/ ٢٠٠٩م، ج ٦، ص ٩: ١١.

الرمادية البسيطة، إنه يدعو الإنسان إلى الفلاح، ويحدث اضطرابا في القلوب المنكسرة، إن الجامع الأزهر صورة لنموذج معماري عظيم عبر القرون، كان من ورائي محلات الأطعمة والأشربة والصناعات المحلية والكتب، وعبر الشارع كانت هناك المنطقة الإدارية لجامعة الأزهر ومسجد الحسين وسوق خان الخليلي ذائع الصيت"[١].

ثم أردفت تقول:

" نزلت الدرج، وقبل أن اتجه صوب جناح السيدات عبر طريق واسع ألقيت نظرة حب وتقديس على جوانب المسجد الأربعة، فإذ بي أعجب بعراقته أكثر من جماله"[٢].

وتصف أحد أشهر بوابات الجامع الأزهر من الخارج، فتقول:

"للسور الخارجي للجامع الأزهر ثماني بوابات، تأتي في مقدمتها من حيث الأهمية بوابة (المزينين)، وهي بوابة تاريخية كان يجلس الحلاقون أمامها، يحلقون للطلاب، حيث لم يكن بمقدور أي طالب الدخول للجامعة

---

(١) میں مسجد کے سائیڈ والے دروازے کے عین سامنے ساکت کھڑی سرمئی اور سفید پتھروں والے سادہ پر خوبصورت بناوٹ والے میناروں سے پھوٹتی دل میں ہلچل مچاتی انسان کو فلاح کے لیئے بلاتی سرمدی آواز کو سنتی تھی الازہر مسجد صدیوں کے عظیم تعمیری نمونے کی عکاس ہے۔ میری پشت پر کتابوں مقامی مصنوعات اور کھانے پینے کی چیزوں کی دکانیں تھیں۔ سڑک کے پار مصر کا شہرہ آفاق بازار خانہ خلیلی مسجد حسین اور الازہر یونیورسٹی کا انتظامی بلاک تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٣.

(٢) سیڑھیاں اتر کر کشادہ راستے سے اندر خواتین کے حصے کی طرف جانے سے قبل میں نے عقیدت ومحبت کی گہری نظر مسجد کے چاروں طرف ڈالی۔ خوبصورتی سے زیادہ اس کی قدامت پر مجھے پیار آیا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٣ ، ٢٤ .

بشعر طويل، وكانت الفلافل الساخنة تُقلى في الناحية اليمنى من البوابة"[١].

كما نجحت الكاتبة في توظيف المكان الخارجي لتعبر من خلاله عن مدى التفاوت والتباين بين عراقة الآثار الإسلامية في مصر وفخامتها وبين سلوكيات قلة من المصريين في عدم الاهتمام والاعتناء بهذه الآثار العظيمة التي تشكلت عبر عصور إسلامية مختلفة منذ الدولة الفاطمية ومرورًا بالدولة الأيوبية وحتى دولة المماليك، فرغم التغييرات العديدة التي طالتها إلا أنها تظل متمسكة بديمومتها وقدسيتها وروحانيتها التي يستشعرها كل زائر لهذا الأماكن، تقول الكاتبة عن مباني الجامع الأزهر:

"كنت أهيم في الماضي عند النظر إلى مبانيه ذات النقوش القديمة"[٢].

تقول أيضًا:

"عندما وقفنا أمام المركز الإسلامي الدولي، وقد كنا نتحدث مع أستاذين جامعيين، بدا لي مستوى النظافة متدنيًا جدًا، (فكيف يعاني) مكان بهذا القدر من الأهمية التاريخية مثل هذا الإهمال"[٣].

---

(١) مسجد کی بیرونی دیوار کے ساتھ مسجد کے آٹھوں اور سب سے اہم دروازے "باربرز گیٹ" پر آئے۔ یہی وہ تاریخی گیٹ ہے جس کے سامنے بیٹھے حجام طلبہ کی ٹنڈیں کیا کرتے تھے۔ کوئی طالب علم لمبے بالوں کے ساتھ ادارے میں داخل نہیں ہوسکتا تھا۔ گیٹ کے داہنے رخ پر گرم گرم فلافل تلے جا رہے تھے۔سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢٣.

(٢) اس کی نقش کہن والے عمارتوں کو دیکھتے ہوئے کہیں ماضی میں گم تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٢.

(٣) جب ہم بین الاقوامی اسلامک سنٹر کے سامنے کھڑے دو پروفیسروں سے بات چیت کرتے تھے مجھے صفائی کا معیار بھی بہت ناقص نظر آیا تھا۔ اتنی تاریخی اہمیت کی جگہ اور ایسی بے نیازی۔سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢١.

وعن درجة الرقي المعماري والإنشائي لقباب الجامع الأزهر، وكذا الزخارف الخشبية في فن (الأرابيسك) ودورها الجمالي الفائق الذي لا تكاد عين تخطؤه من الوهلة الأولى، تقول (سلمى أعوان) واصفة هذه القباب:

"تم توظيف الطراز الخشبي للقباب في الأسطح وما بينها بجمال وتفرد كبيرين، وكان حول قباب السطح فسيفساء ملونة"(١).

"كانت أعمال الأرابيسك على أفضل طراز، ونوافذ المباني القديمة وتصاميم الأبواب تدعوني إلى الدهشة"(٢).

تعرضت الكاتبة أيضًا لوصف بعض الأطعمة الشعبية الرائجة في محيط المسجد، وقدمت في بعض الأحيان وصفًا دقيقًا لبعض هذه الأطعمة وكيفية إعدادها وطهوها، تقول:

"تطحن حبوب الفول في ماكينة يدوية مع الخضرة والثوم والبصل، وبعد إضافة البيض إليها وقليها في مقلاة يصبح شكلها مثل الـ (لدو بيتهي)* عندنا"، ثم توضع داخل رغيف صغير من خبز الدقيق"(٣).

---

(١) چھتوں اور ان کے درمیاں گنبدوں کا چوبی کام بڑا ہی خوبصورت اور انفرادیت لیے ہوئے تھا۔ چھت کے گنبدوں کے گرد رنگین پچی کاری کا کام تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٣.

(٢) چوب کاری کے کام کا بہترین نمونہ تھا۔ کھڑکیاں اور دروازوں کی ڈیزائن داری عش عش کرنے پر مجبور کرتی تھی. سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٢.

(*) **لدو بيتهي:** نوع من الأطعمة الشعبية الشهيرة في باكستان يشبه الطعمية في بلادنا، يعد من عجين الحمص والعدس المقلي في الزيت مع بعض الاضافات.

(٣) سویابین کی پھلیوں کو ہرے لہسن پیاز کے ساتھ ایک دستی مشین میں پسینے اس میں انڈے ملانے اور کڑاہی میں تلنے کے بعد ان کی صورت اپنے ہاں کے لڈو =

وهكذا قدمت الكاتبة وصفًا للجامع الأزهر ومحيطه في سياق الدلالة على المشاعر الوجدانية قبل أن تقدمه على أنه مكانٌ هندسيٌ يسر الناظرين، ولا يخفى ما في ذلك من ثراء متعدد المناحي والأهداف، إذ أن المساجد في النسيج العمراني لمصر القديمة تمثل مركز الاشعاع الديني والثقافي والجمالي الذي ترعرعت في ظلاله أجيال عديدة، تربت على القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية، فهي المحور الذي يرتكز عليه التخطيط العمراني باعتباره النواة التي تحاط بالمجتمعات السكنية مكونة طابعًا محليًا فريدًا ومتميزًا ، إذ أن المساجد مع اختلافها في بعض التفاصيل أو العناصر المعمارية والبنائية تظل تشترك جميعها في وحدة الروح الإسلامية الكامنة في هذه المباني المعمارية والتشكيلات الزخرفية، وقد توارثت المساجد هذا الدور عبر قرون متعاقبة، ويأتي في مقدمة هذه المساجد الجامع الأزهر الشريف أحد أهم المساجد الكبرى في مصر والعالم الإسلامي على الإطلاق، والذي من خلاله استطاعت الكاتبة أن ترصد أهم العناصر المعمارية والتصميمية التي ميزته على مدار العصور الإسلامية المختلفة بدءً من العصر الفاطمي وحتى العثماني.

=

پیٹھیوں جیسی ہوتی۔ اسے پھر ایک میدے کی چھوٹی سی روٹی کے اندر رکھا جاتا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٣.

(ب) مسجد الإمام الحسين وشارع (خان الخليلي):

تعتبر الصورة الفنية أحد أهم ركائز الأسلوب الأدبي في رحلة (سلمى أعوان)؛ ذلك أن الصورة التي ترصدها هي في الحقيقة تجسيد فني لقدرتها على التحليق بخيالها في عوالمها الخاصة، وتعبير كذلك عن مهارتها في خلق روابط وصلات بينها وبين الأماكن التي تزورها في الواقع، لتقدمها في النهاية في لوحة فنية بديعة تستحث القارئ، وتحلق به في أجواء من المتعة والدهشة. فالكاتبة دائمًا ما تقارب بين بعض المشاهد التي ترصدها في مصر وبين مشاهد في عالمها المتخيل أو تكون قد رأتها في الواقع في بلدان أخرى، كما سبق وفعلت ذلك عند حديثها عن بعض الأكلات الشهيرة التي تناولتها في مصر، وارتأت أنها تشبه سواء في ــ الشكل أو المكونات ــ بعض الأطعمة في باكستان، كذلك الأمر فيما يتعلق ببعض الأماكن القديمة التي تجولت فيها الكاتبة ــ خاصة ــ في شارع (خان الخليلي)، الذي يُذكّر الكاتبة بأشهر الأسواق التجارية في مدينة (استنبول)، تقول الكاتبة:

"سوق (خان الخليلي) مثل أحجية صعبة؛ حواري متداخلة متشعبة، كعروس تُزين وجهها وتجمله بمساحيق ثقافتها وحضارتها القديمة، وهذا السوق يُذكّر السيّاح بأسواق (كابالي كارسى) في إسطنبول"[1].

---

(1) خانہ خلیلی بازار کسی مشکل معمے کی طرح پیچ در پیچ گلیوں میں الجھا کسی دلہن کی طرح اپنے چہرے پر اپنی قدیم تہذیب وثقافت کا غازہ ملے سجا سنورا سیاحوں کو استنبول کے کیپلی کارسی بازاروں کی یاد دلاتا ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٦.

وتصف الكاتبة مشاعر الوجل والرهبة التي انتابتها عند دخول الشارع، وقد اختلطت بداخلها مشاعر وأحاسيس متباينة عن هذا المكان:

"كنت قد دخلت وجلة، تقدمت كما لو كنت عالقة في ضفائر عذراء فاتنة، كان أصحاب المتاجر يمازحون زبائنهم من الأولاد والأوربيين وذوي الشأن، وكان شرب الشاي وتدخين النرجيلة (الشيشة) مستمرًا، المساومة (المفاصلة) على أشدها، والنهار يلتبس بالليل، كنت أرغب في الخروج من هذا العالم الجذاب، لكنني كنت قد تورطت في تفرعات طرقه، شربت الشاي في مطعم صغير، استرحت قليلًا، وجددت نشاطي"[١].

إن الكاتبة هنا قد تجاوزت مفاهيم التخيل التقليدية حين استحضرت التخيل الذهني القائم على الصور السمعية والحركية؛ وذلك بغرض إحداث أثر نفساني معين في المتلقي يجعله يتجاوب مع الفضاء المتخيل الذي نسجته الكاتبة عن عالم (خان الخليلي)، الذي تصفه بالعروس التي تزينت بكل ألوان الزينة الخاصة بثقافتها القديمة، ولا يخفى ما في ذلك من دقة وعمق في الوصف، إذ أن هذا الشارع المكتظ بالبضائع والصناعات اليدوية، فضلًا عن مبانيه العريقة يعبر تعبيرًا صادقًا عن الثقافة المصرية عبر عصور مختلفة.

---

(١) میں ڈرتے ڈرتے اندر داخل ہوئی تھی۔ کسی ساحرانہ اداؤں والی دوشیزہ کی زلفوں میں الجھتی آگے آگے بڑھتی گئی۔ دکاندار لڑکے گوریوں اور طرحدار گاہکوں سے ٹھٹھول بازی کرتے تھے۔ قہوے اور شیشہ (حقہ) پینے کا کام جاری تھا۔ بھاؤ تاؤ زوروں پر اور رات پر دن کا گمان گزرتا تھا۔ میں اس پرکشش دنیا سے نکل جانا چاہتی تھی۔ پر راستوں کی بھول بھلیوں میں پھنس گئی تھی۔ ایک چھوٹے سے ریستوراں سے قہوہ پی کر میں نے تھوڑا آرام اور خود کو تازہ دم کیا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٦.

وعن زياتها لمسجد الإمام الحسين تقول:

"وعند نهاية ميدان فسيح كانت هناك سلسلة من المتاجر منتشرة على كل الجوانب خلف مسجد الحسين، يقال عن هذا المسجد إن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه المباركة مدفونة بداخله"(١).

وعن زيارتها للمسجد وصلاتها فيه تقول:

"لم يتبق الكثير من الوقت على نهاية زيارة المزار المقدس، دخلت مسرعة، ثم قرأت الفاتحة، وشاهدت زينة المقام، واتجهت صوب جناح السيدات لأداء صلاة العصر... خرجت بعد الانتهاء من أداء صلاة المغرب، فإذا كل شيء يسبح في النور، مما لا شك فيه أن (ثنا و مهر النسا) ستضلان في خضم ساحات السوق وتفرعاته، كان ميدان الحسين في ذلك الوقت كالمهرجان، حيث أفواج من النساء والرجال المحليين وغير المحليين يتجولون هنا وهناك، تتراءى النساء وهن يساومن أثناء بيع السلع المحلية، خرجت من الخلف، فإذا بعربة البطاطا تحمل أتونها الجميل، ولم أجد حرجًا في تذوقها، ولكن لم أجد فيها متعة، ما ألذ البطاطا المشوية في رماد بلادي"(٢).

---

(١) کشادہ میدان کے اختتام پر مسجد حسین پشت پر اطراف میں دکانوں کے سلسلے پھیلے ہوئے تھے۔ اس مسجد کے بارے میں کہا جاتا ہے کہ یہاں حضرت حسین رضی اللہ عنہ کا سر مبارک دفن ہے۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٥.

(٢) مزار اقدس کی زیارت کا وقت ختم ہونے میں ابھی تھوڑا سا وقت باقی تھا۔ میں نے جلدی سے اندر جا کر فاتحہ پڑھی اور مزار کی سجاوٹ کو دیکھتی عصر کی نماز کی لئیے خواتین کے حصے میں آگئی ... مغرب کی نماز کی ادائیگی سے فارغ ہو کر باہر نکلی تو سب کچھ نور میں نہایا ہوا تھا۔ یقینا ثنا اور مہر النسا بازار کی پُر پیچ گھاٹیوں میں گم ہوں گی۔ میدان حسین اس وقت میلے کا سماں پیش کر رہا تھا۔ مقامی اور غیر مقامی عورتوں اور مردوں کے پرے یہاں وہاں چلتے پھرتے مقامی =

وهكذا يلاحظ أن الكاتبة تلجأ ــ أحيانًا ــ إلى لفت انتباه القارئ واستثارة اهتمامه أثناء السرد؛ وذلك عن طريق اشراكه في الأجواء والظروف التي عاشتها، وكأنه قد أصبح جزءا لا يتجزأ منها، فهو أيضًا يستمتع بالمزار المقدس وأجوائه، عن طريق تمثل المكتوب، فعندما تصف الكاتبة بدقة حالة الإبهار والزحام في ميدان الحسين وبعض الأكلات الشعبية فيه كالبطاطا التي تباع على عربات تجر باليد في الميدان، وتقارن بينها وبين مذاق البطاطا في بلدها باكستان، فإنها بذلك تجعل القارئ يشاركها التجربة، ويشعر بلذة ممارسة الطقوس وملامسة ذات الأجواء والأحاسيس التي عاشتها الرحالة؛ وهو ما يسمى في الأسلوب الأدبي النقدي المفارقة.

(ج) **مسجد عمرو بن العاص**:

يعتبر هذا المسجد أول مسجد بني في مصر، بل ومن أوائل المساجد التي بنيت في قارة إفريقيا، وهو اللبنة الأولى في مدينة الفسطاط عاصمة مصر التي بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد فتح مصر عام ٦٤١م، يقع المسجد في مصر القديمة، ويتميز بناؤه بالطراز الإسلامي الفريد، ويقال له الجامع العتيق وتاج الجوامع وجامع مصر، مدحه بعضهم فقال:

=

چیزیں بیچتی عورتوں سے بھاؤ تاؤ کرتے نظر آتے تھے۔ میں پیچھے کی جانب نکل گئی۔ شکر قندی ریڑھی پر دھری بھٹی کی وضع قطع بھی بڑی انوکھی سی۔ ذائقہ کرنے میں ہرج ہی کیا تھا۔ پر سواد نہیں آیا۔ اپنے ملک کی بھوبل میں دم بخت شکر قندی کی کیا بات تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٢٥، ٢٦.

"هو إمام المساجد، وقطب سماء الجوامع، ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه، ومنزل أشياع الدين وصحبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه، وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب، وخر لديه راكعًا وأناب، وجنح إلى حضرته في جنح الليل..."[١].

تصف الكاتبة مشاعرها الداخلية، وحالة الشوق لرؤية هذا المسجد التاريخي العريق، فتقول:

"منذ أيام والقلب يهيج ويضطرب لأجل زيارة مسجد فاتح مصر سيدنا عمرو بن العاص والصلاة فيه"[٢].

إن البعد الوصفي لهذا المسجد عند الكاتبة ما هو إلا صورة مكثفة تحمل في ثناياها الصورة التي رسمتها الكاتبة في مخيلتها، وأرادت أن يراها القارئ في صورة مشوقة تحفزه لزيارة هذا المكان المليئ بالروحانيات وعبق التاريخ الممتزج بعبق الإيمان، تقول الكاتبة:

"توضأت، وما إن صليت النافلة حتى خالجتني هذه الفكرة؛ وهي كم من شخوص عظيمة سجدت في هذا المسجد؟، وهل هذا الموضع الذي أضع جبيني عليه الآن ذاته الموضع الذي سجد فيه أي من سيدنا أبو

---

(١) يوسف أحمد: المحاضرات الأثرية (جامع سيدنا عمرو بن العاص) ، مطبعة المعاهد بدرب الأتراك-مصر، الطبعة الأولى/ ١٩١٧م، ص١٢.

(٢) دل میں فاتح مصر حضرت عمرو بن عاص رضی الله عنہ کی مسجد کو دیکھنے اور اس میں نفل پڑھنے کے لیئے دنوں سے مری جا رہی تھی بھڑک ہی تو اٹھی- سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٧.

عبيدة وسيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنهما، إلهي! هبني إيمانًا مثل إيمان أحبائك هؤلاء"(١).

تقول أيضًا:

"اُختير هذا المكان لبناء أول مسجد في العالم خارج الجزيرة العربية، في هذا الفناء الفسيح حشد من المجاهدين، وجوه لا حصر لها، تتراءى في خيالي الواحد تلو الأخر كما لو أنها مشاهد سينمائية، ربما كان بالقرب من هنا غرف معيشتهم، والآن لا يوجد شيء، دمعت العيون"(٢).

إن الكاتبة هنا تجمع بين ما تشاهده وتلاحظه أثناء زيارتها للمسجد وبين ما يختلج في نفسها تجاه ما تراه وتشعر به بأسلوب أدبي شائق، يغلب عليه الجانب الوصفي والانطباعي أكثر منه في الجانب الواقعي، وهو ما يعرف بـــ (الصورة المضاعفة)؛ التي تقوم على ازدواجية التقديم بين الجانب المرئي والجانب المتخيل، ولا يخفى ما في

---

(١) وضوء کیا اور جب نفل پڑھتی تھی تو خیال آیا کتنی عظیم ہستیوں نے اس مسجد میں سجدے کیے ہونگے۔ ابھی یہ جس جگہ میں ماتھا ٹیک رہی ہوں کیا معلوم عین اسی جگہ حضرت ابوذر غفاری رضی اللہ عنہ اور حضرت ابوعبیدہ رضی اللہ عنہ میں سے کسی کا سجدہ یہاں ثبت ہو۔ اے میرے اللہ تو مجھے اپنی ان محبوب ہستیوں کا سا ایمان دے۔سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٨.

(٢) عرب سے باہر دنیا کی پہلی مسجد کی تعمیر کے لیئے اس جگہ کا انتخاب کیا جاتا ہے۔ یہیں اس کشادہ صحن میں مجاہدین کا ایک ہجوم ہے۔ کتنے بے شمار روپ ہیں ان کے جو ایک کے بعد ایک نگاہوں میں فلمی مناظر کی طرح ابھرتے چلے آ رہے ہیں یہیں آس پاس ان کے رہائشی حجرے بھی ہوں گے اب کچھ موجود نہیں۔ آنکھیں گیلی سی ہوگئی ہیں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٨.

هذا من متعة ذهنية كبرى تدفع القارئ إلى مواصلة القراءة، وتجعله يندمج أكثر في أحداث السرد.

وتصف المسجد وميضأته وما يدور بداخله، فتقول:

"إن المسجد لا نظير له في رحابته وسعته، ولا مثيل له في بساطته، كانت هناك ميضأة بين القناديل تحت سقف مقبب على أعمدة، ذهبنا إلى الجناح المخصص للسيدات عبر الفناء الفسيح، حيث كان هناك بعض الفتيات منهمكات في الدراسة...كن طالبات جامعيات، ولديهن القدرة على الإفصاح عن مقصدهن بلغة إنجليزية ركيكة، السجاد الأحمر قد فرش في جناحي المسجد الرجالي والنسائي، إلا أن سجاد الجناح المخصص للسيدات كان رثًا إلى حد ما، إلا أنه لم يكن هناك حرج في التمدد فوقها، بعد قليل شعرت بأن التعب قد زال، على الأطراف كانت هناك نسخ من القرآن الكريم والكتب الدينية على الأرفف"[١].

وهنا يبرز دور الوصف الواقعي أثناء تقديم الكاتبة للمشاهد والأحداث؛ فالكاتبة هنا تحرص على تسمية الأشياء بمسمياتها سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو الأماكن، مانحة النص مزيدًا من الأفق

(١) مسجد وسعت اور کشادگی میں بے مثال ہے۔ سادگی کا مرقع ہے۔ فانوسوں کے درمیان ستونوں پر گنبدوالی چھت کے نیچے وضو کے لیئے اہتمام تھا۔ کشادہ صحن میں سے گزرتے ہوئے خواتین کے لیئے مخصوص حصے میں چلے گئے۔ چند نوجواں لڑکیاں لکھنے پڑھنے میں مصروف تھیں۔۔ کالج کی طالبات تھیں۔ یہ لڑکیاں ٹوٹی پھوٹی انگریزی میں اپنا مفہوم واضح کرنے کے قابل تھیں۔ مردانہ اور زنانہ حصے میں سرخ قالین بچھے تھے۔ زنانہ حصے کے قالین کچھ خستگی کا شکار تھے۔ تاہم ٹانگیں پسار لینے میں کیا ہرج تھا۔ تھوڑی سی تھکن دور ہونے کا احساس ملتا تھا۔ اطراف میں الماریوں میں قرآن پاک کے نسخے اور دینی کتابیں موجود تھیں۔سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٣٧.

المفتوح، الذي يمتزج فيه السرد بين التعبير البياني المتعلق باللغة الأدبية والتعبير الوظيفي المرتبط بأدب الرحلة، كما أن النص السابق مفعم بصور عديدة من صور الانطباعات الواقعية للكاتبة عن الأثر الإسلامي، بدءًا من حديثها عن رحابته وسعته مرورًا بمرتادي المسجد وحتى الحالة شبه المتهالكة التي عليها سجاد المسجد في الجزء المخصص للسيدات، كما أن عناصر التحول داخل النص متعددة، فتارة يكون في مستوى النص الكلاسيكي، كما في حديثها عن جماليات المسجد، وتارة يكون في مستوى النص الواقعي، كما في حديثها عن الوصف الداخلي للمسجد.

(د): **مسجد ابن طولون**:

يقع هذا المسجد شرق حي السيدة زينب جنوب القاهرة، في موقع مدينة القطائع التي أنشأها أحمد بن طولون لتكون معسكرا لجنده ومقرًا لحكومته، وشرع ابن طولون في بناء هذا المسجد سنة ٨٧٩م، وقد توالت أعمال التجديد والبناء في جامع بن طولون، ورغم ذلك لا يزال محتفظا إلى اليوم بهيئته الأصلية وتفاصيله المعمارية[١]، وعنه تقول الكاتبة:

" من بين مساجد القاهرة يحظى مسجد ابن طولون ــ الذي بني في الفترة بين (٨٧٦م:٨٧٩م) بشهرة خاصة لتميز طابعه المعماري، كان مسجد ذا مهابة وجلال، يقال إنه بني على نسق مسجد سامراء

(١) انظر: حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة- الكويت، عدد (٣٧) يناير ١٩٨١م، ص ١٧٤.

العراق، لكنه قد تراءى لي مشابهًا لمساجد مدينة (إسطنبول)، فقد بنيت في ساحته الحصوية الواسعة للغاية ممرات للسير من المرمر، إلا أن المسجد كان خاليًا، وهذا الهجر كان مؤلمًا"[١].

وهنا تتضح قدرة الكاتبة على توظيف فكرها ومطالعاتها الخاصة في صياغة المشاهد والصور التي ترصدها دون أن تبتعد عن الواقع أو تزيفه، بل إن المؤكد هو أن الكاتبة قد قامت بدراسة حول الأثر قبل زيارته، وليس أدل على ذلك من ورود العديد من المعلومات التاريخية المحققة داخل هذا النص، كما هو الحال في حديثها عن التصميم المعماري للمسجد وتاريخ إنشائه[*]، وهكذا قدمت (سلمى أعوان) وصفًا مختصرًا للمسجد ذكرت فيه ما يتعلق بتاريخ بنائه ونسقه المعماري وانفعالاتها الوجدانية تجاهه، وكذا ما استوقفها ولفت نظرها نحوه، ولا يخفى ما في ذلك من قيم علمية وجمالية تسهم في تثقيف القارئ، وتثري فكره ومعارفه.

---

(١) قاہرہ کی مساجد میں سے ٨٧٦ء اور ٨٧٩ء میں بنائی جانے والی اپنے منفرد طرز تعمیر کی بنا پر جامع طولن (Tulun) خاصی شہرت رکھتی ہے۔ جاہ وجلال والی مسجد تھی۔ کہا جاتا ہے کہ عراق کی سمارہ (Samarra) مسجد کے ڈیزائن پر ہے پر مجھے تو اس میں استنبول کی مسجدوں کی جھلک جھانکتی نظر آئی تھی۔ بے حد وسیع بجری والا صحن جس میں چلنے کے لیے سنگ مرمر کی روشیں بنائی ہوئی تھیں۔ پر مسجد میں ویرانی تھی۔ اور یہ ویرانی تکلیف دہ تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥١.

(*) للتحقق من صحة المعلومات التاريخية الواردة في النص طالع الباحث كتابي؛ ديزموند ستيوارت: ترجمة/ يحيى حقي، القاهرة، دار المعارف-القاهرة، ط ١٩٨٧م، ص ٢١١، ٢١٢. أيضًا: حسين مؤنس: المساجد، ص ١٧٤.

(٥) مسجد محمد علي:

يلاحظ في كثير من المشاهد الوصفية داخل الرحلة انعكاسًا واضحًا لحالة الشوق والانبهار بالمساجد والأماكن الطاهرة التي تحظى بها مصر، وهو ما يجعل من الرحلة ليس فقط سردًا أدبيًا في أدب الرحلة، وإنما أيضًا عملا نابضًا بانفعالات ومشاعر وجدانية خاصة بالأديبة؛ الأمر الذي يرقى بالعمل الأدبي، ويجعل منه لوحة فنية تجمع بين الوصف الواقعي والإحساس والتأمل والتاريخ والوجد، مثل تلك الأمور التي تستحث المتلقي على البحث والتنقيب عن الصور الجمالية، خاصة إذا ما كان الأثر يضم بين جنباته تصاميم معمارية نادرة وفريدة كالتي حظي بها مسجد محمد علي، والذي فيه تقول الكاتبة:

"يعتبر مسجد محمد علي ــ في أعلى مكان في القلعة ــ من أفضل أماكن القاهرة التي تستحق المشاهدة، وضع الخبير المعماري اليوناني (يوسف بشناق) تصميم هذا المسجد في عهد محمد علي باشا، متأثرا (بتصميم مسجد) (آيا صوفيا) في محراب المسجد وأروقته وأعمدته وأبوابه وزينة القسم الداخلي وتصميم مناراته المخروطية التي تقف كما لو أنها صواريخ مهيأة للانطلاق من مكان ما"[١].

---

(١) قلعے کی بلند ترین جگہ پر مسجد محمد علی قاہرہ کی قابل دید جگہوں میں سے امتیازی نشان رکھتی ہے۔ محمد علی پاشا کے دور میں بننے والی اس مسجد کا ڈیزائن کار یونانی ماہر تعمیرات یوسیف بوبجنا تھا جو استنبول کی ایا صوفیا سے متاثر تھا۔ مسجد کے محراب برآمدے اس کے ستون دروازے اندرونی حصے کی زیبائش اور میناروں کا نوکیلا سٹائل جیسے ابھی کہیں میزائل داغنے کے لیے پرواز کو تیار کھڑے ہوں۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٥٣.

ثم أردفت تقول في وصف المسجد:

"إن لم أكن قد رأيت من قبل مساجد إسطنبول لربما كنت قد أمضيت ساعات أشاهد زينته وجمال زخارفه ونقوش قباب سقفه وفرشه المزين بالسجاد الأحمر، كانت فسقية الوضوء وسقفها جديرين بالمشاهدة، أما قباب المسجد وظلال سقفه الأفقية الممتدة فلا مثيل لها، كان فناء المسجد واسعًا وجميلًا، وفي الجانب الغربي برج الساعة بهيّ المنظر بطرازه وتجانس ألوانه، وقد زينت شرفاته العلوية والجزء الأوسط بزخارف النحاس، على ناصيتها يظهر بريق ساعة المحبة التي أهداها ملك فرنسا (لويس فليب) إلى محمد علي باشا"(١).

يلاحظ دائما من بداية الرحلة وحتى نهايتها أن الكاتبة يستوقفها دائمًا، ويلفت نظرها الجوانب الحضارية ومعالمها كالآثار والمساجد والمتاحف والأماكن التاريخية التي حبا الله بها بلدنا الحبيب مصر؛ وجعلت منها مقصدًا للسياح على مر العصور، لذا تناولتها الكاتبة بصورة تكشف عن روح دينية متعطشة تملكت الكاتبة، فهي دائمة البحث عما يشعل فيها جذوة الحس الإيماني والنور الوجداني، وليس أدل على هذا

(١) سرخ قالینوں سے سجا فرش اور چھت کے گنبد کی حسین نقش ونگاری اگر میں نے استنبول کی مسجدیں نہ دیکھی ہوتیں تو شاید میں گھنٹوں بیٹھ کر اس کی تزئین کاری کو دیکھتی۔ وضو کے لیے فوارہ اور اس کی چھت دونوں قابل دید تھے۔ چھت کے بڑھے ہوئے افقی شیڈوں اور حوض دونوں کی نقش ونگاری لا جواب۔ صحن کشادہ اور خوبصورت تھا۔ مغربی جانب کلاک ٹاور اپنی ساخت اور رنگ آمیزی کے باعث بہت دیدہ زیب۔ بالائی جھروکوں اور درمیانے حصے کو تانبے کی سجاوٹ سے مزین کیا گیا ہے۔ اس کی پیشانی پر چمکتا کلاک محبت کا وہ اظہار یہ ہے جو محمد علی پاشا کو فرانس کے شہنشاہ لوئس فلپ نے بھیجا تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٥٤، ٥٥.

هنا من أن الكاتبة تسهب في وصف مسجد محمد علي، وتستطرد في ذكر كل ما يتعلق به من تواريخ ووقائع وأعلام، ليس هذا فحسب، بل تذكر أهم ما يتميز به ويتفرد به عن بقية المساجد الأخرى، وفيما يتشابه معها وفيما يختلف عنها، عبر صور ناطقة وتوصيفات متنوعة تعكس جوانب عدة من تاريخ هذا المسجد.

والرحلة هنا لا تقف عند حدود وصف المسجد وصفًا شكليًا سطحيًا، وإنما تتعداه إلى تصوير أهم الملامح الحضارية والثقافية التي امتاز بها العصر الذي بُني فيه هذا الأثر الإسلامي العظيم، إذ يصادف أسلوب الكاتبة الأدبي في التعبير عن هذه الملامح حديث تستحضر به أهم المشاهد والصور التاريخية عن هذا المسجد العريق، فتورد ما تحتفظ به كتب التاريخ عن هذا المسجد، وتعرض للتواريخ المرتبطة به إلى جانب وصفها العمراني له، ويكاد يكون هذا قاسمًا مشتركًا في حديثها عن مختلف المساجد التاريخية التي زارتها في مصر، وإن تفاوت الوصف من مسجد إلى آخر، إذ أن بعض المساجد قد نالت نصيبًا وافرًا من التفصيل الدقيق في رحلة الكاتبة، كما هو الحال مع مسجد محمد علي؛ وذلك لما له من مكانة معمارية وتراثية كبيرة، تقول سلمى أعوان:

"كان محمد علي باشا الألباني الأصل جنديًا عاديًا في الكتيبة العسكرية التي جاءت لتحرير مصر من قبضة نابليون، وقد حاز على ثقة الدولة العثمانية، كان إنسانًا ذكيًا لدية قدرات حرفية، ونظرًا لوعيه وفراسته الحربية أصبح قائدًا للكتائب الألبانية، ثم عندما ثار المصريون

ضد الوالي (خورشيد) في عام ١٨٠٥م، تولى مقاليد حكم مصر بحنكة بالغة، إنه الجد الأكبر للملك فاروق"[١].

ثم تعرضت الكاتبة لتقليد عرفته مصر منذ الدولة الفاطمية، وهو المسجد ذو الضريح أو المشهد، الأمر الذي لفت انتباهها في بعض المساجد التراثية في مصر القديمة، تقول:

"كان ضريح محمد علي باشا ناحية الباب الأيمن من المسجد، حيث كان يوجد ــ إلى حد ما ــ تقليد المساجد ذات الأضرحة في مصر، على أي حال كان الضريح من المرمر الأبيض المزين بالنقوش والزخارف النفيسة وقد بدا جميلًا في العيون، قرأت الفاتحة، ثم خرجت"[٢].

---

(١) یہ محمد علی پاشا البانوی نژاد اس فوجی دستے میں ایک معمولی سپاہی تھا جو مصر کو نپولین کے قبضے سے آزاد کروانے یہاں آیا تھا اور جسے سلطنت عثمانیہ کا آشیر باد حاصل تھا۔ وہ پیشہ وارانہ صلاحیتوں کا حامل ذہین انسان تھا۔ اپنی جنگی فہم وفراست کی بنا پر وہ البانوی دستوں کا کمانڈر بن گیا۔ اور ١٨٠٥ء میں مصریوں نے جب ولی خورشید کے خلاف بغاوت کی تو اس نے حد درجہ ہوشیاری سے مصر کی حکومت کا چارج سنبھال لیا۔ یہ فاروق کا پر دادا تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥٥.

(٢) مسجد سے داخلی دروازے کے دائیں ہاتھ محمد علی پاشا کا مقبرہ تھا۔ یہ مسجدوں کے ساتھ مقبروں کی روایت بھی مصر میں ہی دیکھنے کو ملی تھی۔ بہر حال سفید سنگ مرمر کا مرمر کا مقبرہ نفیس نقش ونگاری سے سجا ہوا آنکھوں کو خوبصورت لگا تھا، فاتحہ پڑھی اور باہر آ گئی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥٦.

وتصف الكاتبة ظاهرة التسول التي لفتت انتباهها عند زيارة المسجد، فتقول:

"في المسجد كان هناك عدد كبير من السائحين، وإذ بالفقراء ينتهكون قدسية المسجد بأيديهم، بعض النساء كن يتسولن حافيات الأقدام مكشوفات الرأس دون قيد أو رقيب"(١).

تقول أيضًا:

"كان الضريح مفتوحًا، وقد تراءى لنا أسراب من البشر داخل الضريح وفنائه، إن وضع المتسولين هنا كما هو الحال عندنا"(٢).

(و) مسجدا السلطان حسن والرفاعي:

يعد مسجد السلطان حسن أحد أشهر المساجد الأثرية وأقدمها في مصر، إذ يعتبره المعماريون درة العمارة الإسلامية في الشرق في العصر المملوكي، يقع المسجد في نهاية شارع قلعة محمد علي، في مواجهة جامع الرفاعي، كما تطل واجهته الشرقية على ميدان صلاح الدين بحي الخليفة التابع للمنطقة الجنوبية بالقاهرة، يضم المسجد مدرسة لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة؛ وهي كمدرسة لا يضاهيها أي أثر إسلامي

(١) مسجد میں سیاحوں کی ریل پیل تھی۔ مسجد کا تقدس بھی بے چارے ان کے ہاتھوں پامال ہو رہے تھے۔ کچھ عورتیں ننگی ٹانگوں اور ننگے سروں کے ساتھ مٹرگشت کر رہی تھیں۔ کوئی روک ٹوک اور پوچھنے والا ہی نہ تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥٥.

(٢) مزار کھلا تھا اور لوگوں کے پرے آنگن اور مزار کے اندر نظر آتے تھے۔ منگتوں کا حال ہمارے جیسا ہی تھا۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥٠.

آخر في هذا الجانب، حيث تمثلت فيها كل مقومات المدرسة الإسلامية من الناحية الدينية والمعمارية على السواء، تقول عنها (سلمى أعوان):

"كان ميدان صلاح الدين من أكثر مناطق القاهرة ازدحامًا، زرنا مسجدي السلطان حسن والرفاعي، حيث صلينا في أحدهما صلاة النافلة، وصلينا في الآخر صلاة العصر، هذا ويعد مسجد السلطان حسن(*) المنشأ في الفترة ما بين (١٣٦٣: ١٣٦٥م) أفضل نموذج معماري على الطراز الإسلامي، إنه مأثرة حكم السلطان التركي الناصر حسن لمصر، والذي شُرع في إنشائه في عهده، وإن كان قد اكتمل بناؤه في عهد (بشير آغا)؛ أحد أمراء السلطان حسن، كان مبنى المدرسة قد تعرض للهدم إلا إنه يبقى أبد الدهر عظيم الشأن، فكرت وأنا واقفة في فنائه العريض الواسع، كم من آلاف العقول التي استنارت هنا؟"(١).

هذا وتذكر كتب التاريخ: "أن السلطان حسن قد قتل سنة ٧٦٢هـ قبل أن يتم بناء المدرسة، حيث قام (بشير آغا) بأعمال تكميلية كثيرة

(*) **السلطان حسن**: هو بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون، ولد سنة ٧٣٥ هـ، ولي الملك سنة ٧٤٨ هـ وعمره ثلاث سنوات، وظل في الحكم حتى ٧٦٢ هـ، للمزيد انظر: سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشون الإسلامية- مصر، ط ١٩٧٦، ج ٣، ص ٢٧٦: ٢٨٠.

(١) صلاح الدين سكوائر قاہرہ کا مصروف ترین علاقہ تھا۔ مسجد سلطان حسن اور مسجد الرفاعی دونوں ہم نے دیکھیں۔ ایک میں نفل پڑھے دوسری میں عصر کی نماز ادا کی۔ ١٣٦٥ اور ١٣٦٣ء کے دوران بننے والی سلطان مسجد اسلامی طرز تعمیر کا بہترین نمونہ تھی۔ یہ ترک سلطان الناصر حسن کے مصر کے دور حکومت کی یادگار ہے جس کی تعمیر کا آغاز سلطان کے ہاتھوں ہوا پر تکمیل بشیر آغا نے کی جو اس کے شہزادوں میں سے ایک تھا۔ مدرسے کی عمارت اب شکستگی سے دو چار تھی پر کبھی یہ بڑی عظیم الشان ہوگی۔ وسیع وعریض صحن میں کھڑے ہوئے میں نے سوچا تھا کتنے لاکھوں ذہنوں نے یہاں سے جلا پائی ہوگی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٥٦، ٥٧.

منها أعمال الرخام الملون للأرضيات وأبواب المدارس بالرخام الملون، وقد سجل هذا على أبواب المدرسة جميعها"[١]، وفي هذا دلالة واضحة على أن الكاتبة قرأت الكثير عن قدر وقيمة هذه المدرسة العريقة، وكذا دورها التاريخي في نشر العلم الديني ومبادئ الدين الصحيح وإنارة العقول في جميع أرجاء العالم الإسلامي، إذ تتفق المعلومات التاريخية التي وردت في كتب التاريخ عن هذه المدرسة مع ما ذكرته الكاتبة في رحلتها.

أما مسجد الرفاعي المقابل لمسجد السلطان حسن فقد أنشئ في عهد أسرة محمد علي؛ ليكون مسجدًا وضريحًا لأفراد الأسرة، وقد روعي في تصميم واجهته ومآذنه أن يضاهي في الشكل والهيئة واجهة جامع السلطان حسن المقابلة له، والتي ارتأت الكاتبة أنها تشبه إلى حد كبير مئذنة مسجد (قوة الإسلام) في مدينة (دهلي) بالهند، المشهورة بمئذنة (قطب منار)، نسبة إلى قطب الدين أيبك (١١٥٠م- ١٢١٠م) أول سلاطين مماليك الهند، تقول الكاتبة:

"ما إن رأيت مآذن مسجد الرفاعي حتى تذكرت ــ تلقائيًا ــ (قطب مينار)، حيث بدت لي دقة زخرفة مآذن المسجد قريبة الشبه جدًا به"[٢].

---

(١) سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص ٢٨٥.

(٢) الرفيع مسجد کے میناروں کو دیکھتے ہوئے مجھے بے اختیار قطب مینار یاد آیا تھا۔ مسجد کے میناروں کی اتنی باریک کندہ کاری مجھے اس سے بہت مشابہ نظر آئی تھی۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص ٥٧.

لم تتوقف الكاتبة كثيرا عند هذا المسجد، ولم تذكر شيئًا عن تاريخ بنائه أو مؤسسه، كما أنها لم تتعرض لأي من تصاميمه أو زخارفه بالوصف؛ ولعل السبب في هذا يرجع إلى حداثة المسجد إذا ما قورن بمسجد السلطان حسن في الجهة المقابلة، أضف إلى هذا أن الكاتبة تولي اهتمامًا كبيرًا بالمساجد العتيقة الضاربة جذورها في عمق التاريخ الإسلامي، تلك المساجد ــ سالفة الذكر ــ ذات الأثر الواضح، ليس فقط في العالم الإسلامي، وإنما في فكر وثقافة العالم بأسره.

وتختتم الكاتبة رحلتها بهذه الكلمات الطيبة المعبرة عن مشاعرها النبيلة تجاه بلدنا الحبيب، وما تكنه من حب وتقدير لدوره الديني والتاريخي والثقافي الفاعل ليس على مستوى العالم الإسلامي فحسب، وإنما في العالم بأسره، إذ كتبت تقول:

"الوداع يا قاهرة، الوداع يا مصر، إن لم أزرك لكنت حرمت خيرًا عظيمًا، أحبك حبًا جما، فلتبق سعيدة وعامرة"(١).

(١) الوداع قاہرہ ۔ الوداع مصر۔ تمہیں نہ دیکھنا بہت بڑی محرومی تھی۔ بہت پسند آئے ہو۔ شاد رہو۔ آباد رہو۔ سلمی اعوان: مصر میرا خواب، ص٢١٥.

خاتمة البحث:

- إن المطلع على أدب الرحلات الأردي يدرك تمامًا مدى التطور الذي لحق بهذا الجنس الأدبي شأنه شأن بقية الأجناس الأدبية الأخرى التي تأثرت كثيرًا بالثقافة الغربية؛ حيث تنوعت أساليبه وموضوعاته على نحو غزير، اتسعت معه دائرة المؤلفات في هذا الصنف الأدبي مما جعله شريكًا أساسيًا في التطوير والتغيير الثقافي الذي تشهده الساحة الأدبية الأردية.
- أكدت (سلمى أعوان) في أدبها عامة، وفي أدب الرحلات خاصة أن العالم بحاجة ملحة إلى التواصل الثقافي بين الأمم، لتحقيق التعايش السلمي والتعاون المشترك بين الشعوب المختلفة، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق فهم ثقافة الآخر فهماً جيداً؛ للوقوف على ما فيها من قيم توافق مجتمعنا وهويتنا الإسلامية، وكذلك اجتناب ما يتنافى مع قيمنا وثقافتنا وأخلاقنا.
- عُرف عن الكاتبة منذ الصغر تعلقها الشديد بالحضارات القديمة، والتّوق إلى المغامرة والمشاهدة والتأمل في جمال الطبيعة، والتعرف على الطبائع والآثار المتعلقة بالعصور القديمة؛ وهو ما وَلَّدَ بداخلها حب مصر، حيث تعلقت كثيرًا بحلم زيارتها والسفر إليها، وأخذ هذا الحب ينمو معها، ويتزايد شيئًا فشيئًا مع مرور الأيام، حتى امتلك عليها وجدانها، وأصبحت أسيرة هذا الحلم لفترة طويلة حتى تحقق.

- لم يقف الوصف عند (سلمى اعوان) عند حدود الوصف المكاني والزماني لمساجد مصر وشوارعها وأسواقها وأزقتها، وإنما تعداه إلى وصف الروئ والأفكار، وكذا الخصائص الثقافية والاجتماعية والسياسية لقاطني هذه الأماكن وعاداتهم وتقاليدهم.
- مزجت الكاتبة بين تجربتها الشخصية المرتكزة على المشاهدة والتجربة التي تغلب على معظم أجزاء الرحلة وبين السرد التوثيقي القائم على البحث والدراسة.
- قدمت الكاتبة وصفًا للمساجد الأثرية في مصر في سياق الدلالة على المشاعر الوجدانية؛ لكونها مركز الاشعاع الديني والثقافي للعالم الإسلامي بأسره قبل أن تكون مكانًا هندسيًا يسر الناظرين، إذ أن الرحلة هنا لا تقف عند حدود وصف المسجد وصفًا شكليًا سطحيًا، وإنما تتعداه إلى تصوير أهم الملامح الحضارية والثقافية التي امتاز بها العصر الذي بُني فيه.
- كان لـــ (سلمى أعوان) العديد والكثير من الصور والانطباعـــات الجميلة والجيدة عن المجتمع المصري، وكان لهـــا ــ أيضًـــا ــ وقفة مع بعض الانطباعات السلبية التي قد يلحظها أو يتعـــرض لها بعض السائحين أثناء زيارتهم الأماكن الأثرية في مصر.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

(١) حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة- الكويت، عدد (٣٧) يناير ١٩٨١م.

(٢) ديزموند ستيوارت: ترجمة/ يحيى حقي، القاهرة، دار المعارف- القاهرة، ط ١٩٨٧م.

(٣) سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشون الإسلامية- مصر، ج ٣، ط ١٩٧٦م.

(٤) سمير عبدالحميد إبراهيم: الأدب الأردي الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، سلسلة آداب الشعوب الإسلامية(٢).

(٥) شمس تبريز خان: محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن، مجلة ثقافة الهند، مجلد ٤٦، عدد ١، ط ١٩٩٢م.

(٦) عبدالوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ط ٣، اقبال اكادمى – باكستان، لاهور ١٩٨٥م.

ثانياً: الأردية:

(١) جہاں بانو بیگم: محمد حسین آزاد، ادارۂ ادبیات اردو، حیدر آباد دکن.

(٢) حافظ عبدالرحمن امرتسری: سفرنامہ بلاد اسلامیہ، کشمیر بازار- لاهور، ط ٢/ ١٩٤١ء.

(٣) حکیم سید عبدالحی: دہلی اور اس کے اطراف، اردو اکادمی- دہلی، سنہ اشاعت ١٩٨٨ء.

(٤) خالد محمود، اردو سفرناموں کا تنقیدی مطالعہ، مکتبہ جامعہ نئی دہلی، سنہ اشاعت ٢٠١١ء.

(٥) دائرة معارف اردو اسلامية، دانش گاه پنجاب - لاہور، طبع اول١٩٦٨ء.

(٦) سعید أحمد: آزادی کے بعد اردو سفرنامہ، عرشیہ پبلی کیشنز-دہلی، سنہ اشاعت ٢٠١٢ء.

(٧) سلمی اعوان: مصر میرا خواب، دوست پبلی کیشنز- اسلام آباد، اشاعت ٢٠٠٨ء.

(٨) سلیم اختر: اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے ٢٠٠٠ تک، سنگ میل پبلی کیشنز - لاہور، اشاعت ٢٠٠٠م.

(٩) شبلی النعمانی: سفرنامہ روم ومصر وشام، مہتاب پریس- دہلی، سن اشاعت ١٣٠٩ ھـ.

(٨) فرزانہ اعوان: سلمی اعوان کی ادبی خدمات، مقالہ ایم – اے، شعبۂ اردو، گورنمنٹ کالج، لاہور ٢٠٠٢ء.

(١٠) فرزانہ سید: نقوش ادب، سنگ میل پبلی کیشنز- لاہور، ١٩٩٨ء.

(١٢) قاضی ولی محمد: سفرنامۂ مصر، درنامی پریس- لکھنو، ط ١٩٢٨ء.

(١٣) محمد اقبال انصار: نیل سے فرات تک، الجمعیہ پریس- دہلی، ط ١٩٦٢ء.

(١٤) مرزا حامد بیگ: اردو افسانے کی روایت ١٩٠٣- ٢٠٠٩ء، دوست پبلی کیشنز- ٢٠١٠ء.

(١٥) ملک مقبول احمد، ٥٠ نامور ادبی شخصیات، مقبول اکیڈمی - لاہور، اشاعت ٢٠١١ء.

ثالثاً: المصادر الإنجليزية:

(1) Stanley Wolpert, Encyclopedia OF India, Tomson Gale corporation, U.S.A, 2006 Edition.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

(1) http://www.salmaawan.com

(2) https://www.youtube.com/watch?v=MCH89DNz1-w